كي نكون مباركين

تأليف

د.عبد العزيز آل عبد اللطيف
د.عطيه عدلان
محمد فريد
عادل مناع
محمد بن عبد الله المقدي
أكرم عصبان
محمد جمعة
مصطفى محمود

توزيع
آل ياسر للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٦٧٨٨٩٥٣

ص ب: ٦٨٩٨٠

الرمز البريدي: ٣١٥٣٧

E-mail: almagdy3@gmail.com

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار صفا جيزان للنشر والتوزيع

موقع الصوفية: http://www.alsoufia.com/main

الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ _ ٢٠١٣م

رقم الايداع

٢٠١٣/٣٠٧٥

توزيع

آل ياسر للنشر والتوزيع

0112458444

dar-ala-yaser@hotmail.com

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ...

فالبَرَكَةُ نِعمةٌ ربَّانيَّةٌ، وخَصِيصَة إلهية، جعلها الله تعالى في ما شاءَ من مخلوقاته، وسنَّ لنا تتبُّعَها على الوجه المشروع؛ فيَكْثُر القليلُ ويُبارك فيه، وتَسْهُل الأمورُ من حيث لا يَحْتسِب المَرْءُ، ويَقْوَى البدن، وينفع العلم، وتُخْبِت الأنفُس. وشواهدُ هذا في نصوص الشريعة لا تُحصَى، ولأجل ذا؛ شاع تبرُّكٌ على غيرِ وصفِ الشريعة ضلَّ به أناسيُّ كثيرٌ.

وإنَّ تبيينَ حقائق الدِّيانة وكشف الشُّبُهات عنها من واجبات العصر، وإنَّ من المسائل التي وقع فيها نوعُ غَلَطٍ مسألةَ التبرُّكِ؛ فقد غلا فيها أقوام فجعلوا ما لا يصِحُّ التبَرُّك به في رُتبةِ المشروع جهلًا أو اتباعًا للهوى، وجفا آخرون فلم يرفعوا بهذا المعنى الشرعيِّ رأسًا، والحقُّ بين غلوِّ أولئك وجفاءِ هؤلاء، ومن هنا فقد أحببنا تبيينَ ما في هذا المعنى الشرعي نُصحًا للأمة وتبيينًا للشريعة.

أهداف الملف:

١- إبراز المفهوم الإيجابي للتبَرُّك، ووسائل تفعيله في حياة المسلم.

٢- تبيين المفهوم المنحرِف للتبَرُّك.

٣- الجواب عن مستندات التبَرُّك الممنوع عقلًا ونقلًا.

٤- الاطلاع على واقع الأمة في مسألة التبَرُّك.

٥- إيجاد مُعالجاتٍ شرعيةٍ معاصرةٍ للمفهوم الصحيح للتبَرُّك.

٦- إيجاد مُعالجاتٍ شرعيةٍ معاصرةٍ للمفهوم المنحرِف للتبَرُّك.

موضوعات الملف:

١- كلمةٌ في التبَرُّك ـ د. عبد العزيز آل عبد اللطيف.

٢- كي نكون مُبارَكين ـ مُحمَّد بن عبد الله المَقْدِي.

٣- البَرَكَةُ في حياة المسلم ـ د.عطية عدلان.

٤- البَرَكَةُ في حياة الداعية- ابنُ تَيْمِيَّة نموذجًا ـ محمد جمعة.

٥- التبَرُّكُ المنحرِف- بواعثه ومظاهره ـ أكرم بن مبارك عصبان.

٦- مُستندات الفِرَقِ في التبَرُّك الممنوع والجواب عنها عقلًا ونقلًا ـ محمد فريد.

٧- التبَرُّكُ في ميزان الشريعة ـ تحقيقٌ صحافيٌّ مع علماء الشريعة.

٨- شجرة الغريب ـ قصة عادل مناع.

٩- أحاديث ضعيفة في التبَرُّك ـ مصطفى محمود.

محمد بن عبد الله المقدي

كلمة في التبرُّك

د. عبد العزيز آل عبد اللطيف

التبرُّك هو طلب البَرَكَة ورجاؤها، والبَرَكَة هي النماء والزيادة وكثرة الخير.

والتبرُّك المشروع هو طلبُ البَرَكَة ورجاؤها من الله تعالى وَحْدَه حَسَب مُقتضَى السنة والدليل، فلابد من استصحاب الأصلَيْنِ الكبيرَيْنِ: ألَّا نعبدَ إلا اللهَ تعالى، والآخر ألَّا نعبدَه إلا بما شرَع، فالبَرَكَة من الله تعالى وحده، فتُطلب منه سبحانه، فيرجو ويعتقد أنها من عنده ﷻ.

ثم إن البَرَكَة المطلوبة إنما تكون وَفْقَ مقتضَى الشرع، فبركة المصحف مثلًا تُنال بتدبُّره واتباعه، وليس بتعليقه أو تزويقه وزخرفته، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

وبالجملة فالتبرُّكُ المشروع إنما هو بالعلم النافع والعمل الصالح مما يظهَر أثَرُه ويعمُّ نفعه ويعظُم أجرُه.

ومن ذلك ما جاء في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ ... هِيَ النَّخْلَةُ)[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٤٤٤).

قال الحافظ ابن حجر: (وَبَرَكَةُ النَّخْلَةِ مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهَا مُسْتَمِرَّةٌ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهَا ... وَكَذَلِكَ بَرَكَةُ الْمُسْلِمِ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَنَفْعُهُ مُسْتَمِرٌّ لَهُ وَلِغَيْرِهِ حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ)[1].

وقال بعضُهم في تفسير قوله تعالى عن المسيح عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [مريم: ٣١]، أي: مذكِّرًا بالله داعيًا إلى سبيله[2].

وسلَفُنا الصالح كلامُهم قليل، لكنه كثيرُ البَرَكَة، وكلام المتأخِّرين كثيرٌ لكنه قليل البركة.

والحاصلُ أنَّ تحقيق التبَرُّك المشروع والقيام به علمًا وعملًا يمنع من الوقوع في التبَرُّك الممنوع، والنفوس خُلقت لتعمل لا لتترك، والإنسان حارثٌ هَمَّامٌ لا يَنفَكُّ عن الإرادة والنية والسَّعْيِ والحركة، فإذا اشتغلت النفوسُ بالتبَرُّك المشروع عزَفَتْ عن التبَرُّك الممنوع.

فعلينا أن نُعْنَى بإظهار السُّنَنِ والشرائع والحثِّ على لزومها فهي بمنزلة الغذاء النافع، وفيها من البركات ما لا يُحصى كما هو ظاهر في بركات التعلُّق بالله تعالى والإنابة إليه، وبركة الاتباع والاعتصام بنصوص الوحيَيْنِ، وبركة تدبُّرِ القرآن والعمل به، وبركة الدعوة إلى الله تعالى والاحتساب، وبركة الصدقة والإحسان إلى الخَلْقِ، وبركة الكَسْب الحلال...إلخ.

---

(١) الفتح (١/ ١٤٥، ١٤٦).
(٢) انظر الدرر السنية (١١/ ٨٥).

والعُزوف عن التبَرُّك المشروع يوقع في التبَرُّك الممنوع، كما أن الإعراض عن الأغذية النافعة المفيدة يؤدِّي إلى الأغذية الضارَّة..

يقول ابنُ تيمية: (وَهَكَذَا أَهْلُ الْبِدَعِ لَا تَجِدُ أَحَدًا تَرَكَ بَعْضَ السُّنَّةِ الَّتِي يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهَا وَالْعَمَلُ إلَّا وَقَعَ فِي بِدْعَةٍ وَلَا تَجِدُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إلَّا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ السُّنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً إلَّا تَرَكُوا مِنْ السُّنَّةِ مِثْلَهَا)[1].. وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَفْعَلِ الْمَأْمُورَ فَعَلَ بَعْضَ الْمَحْظُورِ، وَمَنْ فَعَلَ الْمَحْظُورَ لَمْ يَفْعَلْ جَمِيعَ الْمَأْمُورِ..)[2].

وهذه من السُّنَنِ الإلهية أنَّ كل مَن أعرَض عن شيءٍ مِن الحق وَقَعَ في باطلٍ مقابلٍ لما أعرَضَ عنه من الحقِّ[3].

إضافةً إلى أن أهواء النفوس وحظوظها تَستروحُ للجديد والمُحْدَث، وتتنصَّل من تكاليف الشرع كما قال الشاطبي: (فَإِنَّ النُّفُوسَ قَدْ تَمَلُّ وَتَسْأَمُ مِنَ الدَّوَامِ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمُرَتَّبَةِ، فَإِذَا جُدِّدَ لَهَا أَمْرٌ لَا تَعْهَدُهُ، حَصَلَ بِهَا نَشَاطٌ آخَرُ ... فلِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ)[4].

ويبقى لزوم الشرع هو بمنزلة سفينة نوح من ركِبها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك، واقتصادٌ في سنة خيرٌ من اجتهاد في بدعة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٩٧٠)، ط الرسالة، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٧٠٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٣).
(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/ ١٦٥)، وتفسير السعدي (١/ ١٨).
(٤) الاعتصام (١/ ٤١).

والمقصود أن أعظم سبيل لرفع التبَرُّك البِدْعِيّ ودفعه إنما هو بإحياء التبَرُّك الشرعي ومجالاته، وإبرازه وَفْقَ الأدلة الشرعية، وترويض النفس على لزوم الهُدَى ومجانبة الهوى وبالله التوفيق.

كي نكونَ مُباركين!

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الله المَقْدِي
Almagdy3@gmail.com

في صيف ٢٠٠٧م، زرتُ مدينة طابا التي بناها الحاج أحمدو بمبا في السنغال، تلك المدينة الصغيرة البعيدة عن كلِّ تحضُّرٍ ومَدَنِيَّةٍ، أخبرني مُحدِّثي أن تربة هذه المدينة تربة مُبارَكَة، تَشفِي المرضى، وتُعين على نوائب الدهر. وعلى ضفاف الأطلسي جزيرةٌ صغيرة بها قبر سيِّدي عبد الرحمن الذي ببركته تحمل النساء فتراهن هنالك زُرَافاتٍ ووُحْدانًا. وقبر مشهور في باكستان ببركةِ تُربَتِه تتزوَّج العَذارَى، والمناجي في اليمن ينجي الحمل من الموت كما يدَّعون، ورأيتُ حليقَ اللحية والدِّين في البوسنة والهرسك يَمْسحُ على أجساد الرجال والنساء...! داخل ثيابهم وثيابهن بحُجَّةِ أن يده مُبَارَكة باركتْها السماء.

أحد الوُجهاء زار رجلًا ينتسب للصلاح، قال: "أجلسوني بجانب ذاك الرجل، وبينما هو يتحدَّث إذ به يتنخَّم ويلقي نُخامَتَه قريبًا من الحُضور في مشهد مُقزِّز، وإذ بالطلبة يتقافزون على تلك النُّخامة فيتمسَّحون بها" ، يقول الوجيه: "وحينما أجْفَلْتُ من هذا المشهد إذ برجلٍ عن يميني يَغمِزُني مُسرًّا في أذني: لا تخف الشيخ سيعطيك واحدةً خاصةً" !!

بخور وأدخنة ، ورقص مختلَط وهَمْهَمات تعلو وتخفُت تتبيَّن منها كلمة "حي" يخبرونك أن هذا الرجل مباركٌ يتمسَّحون به، ويشربون ما فضَلَ من شرابه، ويأكلون ما بقِي من طعامه، يمسحون بريقه أبشارَهم، كَلِمُه وصَمتُه مبارك، فإذامات تتابعت البركات على قبره، يحيا الناسُ على قصصه وعجائبه، تُدبَّج فيه القصائد، وفي مولده تُقام الموائد، صناديقُ النُّذُور تنتظرهم مهلِّلة لاستقبال ما فضَل من أقواتهم، تقِف أمامه العوانسُ والمطلقاتُ والبائس الفقير وذو الشيبة المسكين؛ يرجون أن ينالوا بركةً من بركات الشيخ!

على الضفةِ الأخرى ثَمَّةَ مَن يغالي في منع هذه المعاني ويرفضها بحجة الدَّرْوَشَة.

وثالثٌ منشغل عنها جَهْلًا بها وبأهميتها؛ فقَلَّتِ البركات في الأموال والأولاد والأرزاق.

هذه الصورة التي تلتقطها عدستك بحجم دِقتها وبحجم سَعَة العالم الإسلامي لتُنبِي عن ضلال واسع في هذا المفهوم العظيم، وإن المرء ليَبْدَهه مدى الضلال على غزارة النصوص الشرعية الدالَّة عليه!

البَرَكَة من الله :

الله تعالى هو مصدر كل خير وبركة، بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، النفوس إليه تصير، والقليلُ عنده كثيرٌ، عطاؤه مبارك، ورزقه عميم، يده لا تغِيض بالنفقة بل تفِيض بالإحسان.

كان ﷺ إذا قام إلى صلاة الليل ينادي ربه تبارك وتعالى قائلًا في دعاء طويل: (لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)[1].

يقول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٤].

ويقول:﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[الفرقان: ٦١].

فالله تعالى هو مصدر البركات والخيرات لـ" دوام جوده، وكثرة خيره، ومجده وعلوه، وعظمته وتقدسه، ومجيء الخيرات كلها من تبريكه على ما شاء من خلقه"[2].

وجعَلَ بيته مباركًا تنمو فيه الحسنات وتَزيدُ في جنباته و" تضاعف العمل فيه فالبَرَكَة كثرة الخير"[3]﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

خلق الله السماواتِ والأرضَ ببركته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ

(١) رواه مسلم (٧٧١)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
(٢) جلاء الأفهام (ص: ١٨٠).
(٣) تفسير القُرطبي (٤/ ١٣٩).

حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأعراف: ٥٤]،وجعل اللهُ للمؤمنين في السماء بركةً تُظلُّهم وفي الأرض بركة تُعينُهم إذا اتَّقوه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[الأعراف: ٩٦]، (فبركات السماء المطر، وبركات الأرض النبات والثمار، وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق، والأمن والسلامة من الآفات، كل ذلك من فضل الله وإحسانه على عباده)[١].

أَهْبَطَ اللهُ نوحًا ببركته: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ ﴾[هود: ٤٨].

وأدلَّ[٢] عيسى عليه السلام بأن جعله اللهُ مباركًا فقال: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[مريم: ٣١].

قال ابن عيينة: ﴿ مُبَارَكًا ﴾"معلمًا للخير" [٣].

وقال التُّسْتَرِيُّ: ﴿ مُبَارَكًا ﴾"آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأُرشد الضالَّ، وأنصُر المظلوم، وأُغيث الملهوف" [٤].

وآلُ إبراهيم مبارَكون بمباركة الله لهم:﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[هود: ٧٣].

---

(١) تفسير الخازن (٢/ ٢٦٦).
(٢) أدلَّ فلانٌ بكذا: افتَخر وازْدَهى به.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٣٣).
(٤) تفسير القُرطبي (١١/ ١٠٣).

والمؤمنون يسألون الله أن تحُلَّ البَرَكَةُ عليهم حينما يلتقون: ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً ﴾[النور: ٦١].

وَصَفَ الموضعَ الذي كلَّم فيه موسى عليه السلام بأنَّه مباركٌ ﴿ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[القصص: ٣٠]، وسمَّى شجرةَ الزيتون مباركةً ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ [النور: ٣٥]؛ لكثرة منافعها، وسمَّى المطر مباركًا ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾[ق: ٩]؛ لما فيه من المنافع، وسمَّى ليلة القدر مباركة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[الدخان: ٣]؛ فالقرآن ذِكْرٌ مبارك، أنزله مَلَكٌ مبارك، في ليلةٍ مباركةٍ، على نبيٍّ مباركٍ لأمَّة مباركة[1].

القرآن.. الكتاب المبارك:

القرآنُ العظيم كلام الله تعالى وصفة من صفاته، كثيرُ الخيراتِ واسع المبرّات، كتابٌ مبارَك محكَم، فَصلٌ مُهيمِنٌ، أنزله الله رحمة وشِفاءً وبيانًا وهُدًى، وصَفَه الله تعالى بالبَرَكَة في أربعة مواضع ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٢] ، وقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ

(١) مفاتيح الغيب، الشافعي (٢/ ٢٦٥).

مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]. فالله تعالى: (أنزله مباركًا، فيه الخير الكثير، والعلم الغزير، والأسرار البديعة، والمطالب الرفيعة، فكل بركة وسعادة تُنال في الدنيا والآخرة، فسَبَبُها الاهْتِداء به واتباعه)[١].

وسورَةُ البقرة سورَة مبارَكة، مأمورٌ بتعلُّمها، قالَ عليه الصلاة والسلام: (تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ) [٢] أي: السَّحَرة.

و(الْقُرْآنُ مُبَارَكٌ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، فَالْبَرَكَةُ كَائِنَةٌ بِهِ، فَكَأَنَّ الْبَرَكَةَ جُعِلَتْ فِي أَلْفَاظِهِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْدَعَ فِيهِ بَرَكَةً لِقَارِئِهِ الْمُشْتَغِلِ بِهِ بَرَكَةً فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَلِأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا فِي الْعَمَلِ بِهِ كَمَالَ النَّفْسِ وَطَهَارَتَهَا بِالْمَعَارِفِ النَّظَرِيَّةِ ثُمَّ الْعَمَلِيَّةِ؛ فَكَانَتِ الْبَرَكَةُ مُلَازِمَةً لِقِرَاءَتِهِ وَفَهْمِهِ)[٣].

(إنه مُبارَكٌ بكل معاني البركة، إنه مبارك في أصله، بارَكه الله وهو يُنزله من عنده، ومبارك في محلِّه الذي علِم الله أنه له أهل، قلب محمد الطاهر الكريم الكبير، ومبارك في حجمه ومحتواه، فإن هو إلا صفحات قلائل بالنسبة لضِخام الكتب التي يكتبها البشر، ولكنه يحوي من

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٩).
(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٩٥٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وهو في صحيح مسلم (٨٠٤) بلفظ: "اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ".
(٣) التحرير والتنوير (٦/ ٢١٧).

المدلولات والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه ما لا تحتويه عشراتٌ من هذه الكتب الضِّخام، في أضعافِ أضعافِ حَيِّزِه وحجمه! وإن الذي مارس فنَّ القول عند نفسه وعند غيره من بني البشر وعالج قضية التعبير بالألفاظ عن المدلولات، ليُدرِك أكثرَ مما يدرك الذين لا يزاولون فنَّ القول ولا يعالجون قضايا التعبير، أن هذا النَّسَق القرآني مبارك من هذه الناحية. وأن هنالك استحالةً في أن يعبِّر البَشَرُ في مثل هذا الحيِّز ـ ولا في أضعافِ أضعافه ـ عن كل ما يحمله التعبير القرآني من مدلولات ومفهومات وموحيات ومؤثرات! وأن الآية الواحدة تؤدي من المعاني وتقرِّر من الحقائق ما يجعل الاستشهادَ بها على فنون شتَّى من أوجه التقرير والتوجيه شيئًا متفردًا لا نظير له في كلام البشر.

وإنه لمبارك في أثره، وهو يخاطب الفطرة والكَيْنُونَةَ البشرية بجُملتها خطابًا مباشرًا عجيبًا لطيف المدخل ويواجهها من كل منفذٍ وكل دَرْبٍ وكل ركن؛ فيفعل فيها ما لا يفعله قولُ قائلٍ، ذلك أن به من الله سلطانًا. وليس في قول القائلين من سلطان! ولا نملك أن نمضي أكثر من هذا في تصوير بركة هذا الكتاب، وما نحن ببالغين لو مضينا شيئًا أكثر من شهادة الله له بأنه "مبارك" ففيها فصل الخطاب! ﴿مُصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[1].

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١١٤٧).

مُحمَّدٌ ﷺ... النبيُّ المبارَك:

مرَّتِ الإنسانية بفترة طويلة بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وانطفأ نور رسالته شيئًا فشيئًا حتى عمَّ الظلام أرجاء الكون، وبات الناس يتخبَّطون في غَيَابات الجهل، تهوِي بهم ريحُ الظلم في وادٍ سحيق، ولم يَبْقَ في ساحات العالم وطرقاته إلا طيفُ قناديل واجمةٍ لبقايا أهل كتاب هُرعوا بها إلى رؤوس الجبال. في ذلك التاريخ المخيف، وليله الثقيل، والأرضُ تحيط بجِيدِها أيادي الموت، بَزَغَ نور الفجر، وتراجع الليل يجرُّ أذيال الهزيمة، فقُطعت أيادي الظلم، وتساقطت الشرفات الزائفة، وكُسِرَ إيوان القهر، وأُطفئت نيران العبودية، لذلك عُدَّ هذا الزمان مِن خير الأزمان وأبركِها على البشرية.

لقد بُعث النبيُّ ﷺ والعالم في ظلام دامس يكتنفه لُجَّةٌ سحيقة من الكفر والعصيان، اهتزَّت فيه أُسُسُ الدِّين ، وحُرِّفَ الاعتقادُ إلا بقايا من أهل الكتاب.

كان المشركون يعبدون الأصنام والأوثان ويجِدُون فيها السَّلْوَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣].

عُبدت الأشجار والأحجار والشمس والقمر والنجوم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

لقد تغيَّرت القيم الإنسانية وأمْسَتِ الفضيلة عيبًا، مُجِّدَت الوحشية وامتُهنت الإنسانية وشاع الزِّنا ومعاقرة الخمور وانتشر القُمار وكثُر السلب والنهب، لقد كان وجه الأرض حافلًا بالمُروق.

في هذا الجو البئيس بُعث النبي ﷺ فتمَّ عقد الهداية، وازدحمت الصفوف للإيمان به، ورُفعت راية الله خفَّاقة، هَدَى الله به القلوب والعقول، أخرج اللهُ به الناسَ من ظلمات الكفر إلى أنوار الإسلام، ومن حَمْأَةِ الرذيلة إلى زينة الفضيلة، ومن التفرُّق إلى الاجتماع، من الجوع واللأواء إلى السَّعَة والغناء، تحوَّل الصعاليك أتباع الكلأ رعاةُ الغنم إلى فقهاء علماء، كانت الأمة عربيةً مَقُودة فأصبحت مسلمة قائدةً تتبعها الأمم، هل ثَمَّةَ رجلٌ أعظم بركةً على بني قومه من محمد ﷺ؟

أخذ الله من النبيين الميثاق ليؤمنوا به وينصروه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]، وبشَّر به في الكتب السابقة ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وحُرست

السماء من مُسترقي السمع إبَّانَ بعثته ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن: ٨ - ٩]، وحُفِظ ووُقِي من أن يصله سوء ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وأُسري به إلى بيت المقدس ليَرَى آيات الله ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، الَّذي جَعَلَنَا حَوْلَهُ البَرَكَة لِسُكَّانِهِ فِي مَعَايِشِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَغُرُوسِهِمْ[1].

قاتلت الملائكة معه ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وآتاه الكتابَ وهو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والقمر ينشق تصديقًا له ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

وخُتمت به النبوات ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

بُعث رحمةً للعالمين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) تفسير الطبري (دار هجر): (١٤/ ٤٤٨).

أَقْسَمَ اللهُ بحياته، وبكتابه، وببلده الذي وُلد ونشأ فيه، وبخلقه العظيم، ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].. ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ١ - ٣].. ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [البلد: ١ - ٢].. ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

قال ابن حزم رحمه الله: (من أَرَادَ خير الْآخِرَة وَحِكْمَة الدُّنْيَا وَعدل السِّيرَة والاحتواء على محَاسِن الْأَخْلَاق كلهَا وَاسْتِحْقَاق الْفَضَائِل بأسرها، فلْيَقْتَدِ بمحمدٍ ﷺ، ولْيَستَعْمِل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الائتساء به.. آمين)[1].

إن أعظمَ بركاته عليه الصلاة والسلام هي هذا الدِّين المبارك، (فهَدَى اللهُ الناسَ ببركة نبوة محمد ﷺ، وبما جاء به من البينات والهُدى، هدايةً جلَّتْ عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين عمومًا، ولأولي العلم منهم خصوصًا، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسُّنن المستقيمة، ما لو جُمعت حكمة سائر الأمم، علمًا وعملًا، الخالصة من كل شَوْبٍ، إلى الحكمة التي بُعث بها، لتَفَاوَتَا تفاوتًا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلله الحمدُ كما يحب ربنا ويرضى)[2].

وقد خُصَّ نبينا ﷺ ببركات حِسِّية في جسده الشريف كنَبْعِ الماء من بين أصابعه[3]، وتكثير الطعام له ﷺ[4]، وإبراؤه المرضى وذوي العاهات كما

(١) الأخلاق والسِّيَر في مُداواة النفوس لابن حزم (ص: ٢٤).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٧٥)، تحقيق العقل.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٦٩) و(٣٥٧٦)، ومسلم (٢٢٧٩)، و(٣٠١٣).
(٤) في مواقف عديدة؛ منها ما رواه البخاري (٢٧٠٩) و(٤١٠٢)، ومسلم (٢٧) و(٢٠٣٩).

في قصة علي بن أبي طالب حين تَفَلَ في عينه فبرئت[١]، وقصة عَبْدِ اللهِ بْنِ عَتِيكٍ حين كُسرت رجله فمَسَح عليها فبرئت[٢] رضي الله عنهما.

وبركةُ النبيِّ ﷺ ذاتية فيتبرَّك بشَعره وريقه وعَرَقه ولبسه وثيابه وبمواضع أصابعه وبفَضْلِ شرْبه وبماء وُضوئه، في حياته وبعد مماته، كل ذلك مشروعٌ التبرُّكُ به منصوصٌ على فعل الصحابة له.

ومع هذه البَرَكَة العظيمة لنبينا المبارك هل يصِحُّ أن نقِيسَ عليه شيخًا خاملاً في متاهات التاريخ والجغرافيا بحجة الصلاح فيُدَّعى في رِيقه وعَرَقه وما فضَلَ من بدنه ما يُشرَعُ فعله مع النبي ﷺ! اللهم لا، إنه قياسٌ مع الفارق!

معنى البَرَكَة في الشريعة:

إن البَرَكَة في الشريعة لها معنيان:

١- ثبوت الخير ودوامه قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، قال ابن جرير: "أي: التي جعلها فيها الخير ثابتًا دائمًا لأهلها[٣].

---

(١) في مواقف عديدة؛ منها ما رواه البخاري (٢٩٤٢) و(٣٠٠٩) و(٣٧٠٢)، ومسلم (١٨٠٧) و(٢٤٠٤).

(٢) رواه البخاري (٤٠٣٩)، في قصة قتل أبي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ، وفي آخرها قال عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ: فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: "ابْسُطْ رِجْلَكَ" فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ".

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٤٣).

٢-كثرة الخير وزيادته، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾[آل عمران: ٩٦] قال القرطبي: (جعله مباركًا لتضاعُف العمل فيه فالبَرَكَة كثرةُ الخير)(١)، وقال تعالى:﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، قال الشنقيطي: (أي: كثير البركات والخيرات؛ لأنَّ فيه خيرَ الدنيا والآخرة)(٢).

قال الراغب الأصفهاني: (والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وسُمِّي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوتَ الماء في البِرْكَة، والمُبَارَك: ما فيه ذلك الخير، على ذلك:﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] تنبيهًا على ما يفيض عليه من الخيرات الإلهية، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ [مريم: ٣١]، أي: موضع الخيرات الإلهية)(٣).

إن كثرة النصوص في موضوع البَرَكَة وتنوعها وشمولها لمناحي عِدَّة لتَشي بأهمية هذا المعنى الشرعي ورسوخه، وضرورة الاحتفاء به، ولكن الناظر إلى الواقع يشعر بضدِّ ذلك؛ لقِلَّةِ تداوله كمفهوم شرعيٍّ، وضعف ممارسته كسلوك إيماني؛ ولأجل ذا قَلَّتِ البركات في العلم والعمل.

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٣٩).
(٢) أضواء البيان (٤/ ٥٨٧).
(٣) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ١١٩).

إن تلمُّسَ البركات سائغٌ في الشريعة، مشروعٌ إتيانه في كل ما نصَّتْ على صحة التبَرُّك به والمتتبع يلمس انجفالًا عن هذا المعنى مع أهميته وتواتر النصوص عليه، ولعل هذا الإغفال له ثلاثُ عِلَلٍ:

أولاها: ضعف تلقِّي العلم الشرعي وتبليغِه، وهذه علة عامة تعتَوِرُ جُملةً من الأحكام الشرعية.

ثانيها: أن هذا المعنى المبارك تدَاوَلَه فئةٌ مِمَّن زيَّن لهم الشيطان سوء أعمالهم؛ فأحالوا المشروع من طلب البَرَكَة إلى تبَرُّك ممنوع، عقيدةً وممارسةً، فأحالوا الرغبة في المشروع إلى رهبة من الوقوع في الممنوع، واجتالوا هذا المعنى الشرعي إلى معانٍ باطلة؛ بل صار لفظ التبَرُّك عَلَمًا على غير المشروع - عند الجاهل - واستحالتِ السنة المباركة بدعةً ضالة، وأذكر في هذا أن حوارًا في الشبكة عُنون له بأن: (التبَرُّك بدعة) هكذا في جملة واحدة!

وثالثها: الرُّكون إلى الحياة المادية المدنية والانغماس في طلب المَدَدِ من الأرض والغفلة عن مَدَدِ السماء، حتى صار الحديث عن البَرَكَة دروشةً ممجوجة.

إن المدنيَّةَ المُرهَقَة، وثورة الجسد، وسباق انقضاء الأوقات والأموال والأولاد، وهُزال الرُّوح، وتتابع التشكيك في المعاني الشرعية؛ يُوجِبُ إبرازَ المعاني الشرعية وتجسيرها ورفعَ منارتها، سيَّما وقد اجتالتِ الشياطين كثيرًا منها، وأحالتها من معناها الشرعي المبارك إلى فُهوم ضيِّقة مجتزئة.

لقد تتابع على بني الإنسان حروبٌ أهلكت الحرث والنسل ونالت من دينه ويقينه، وأمسى الحديث عن الغيوب نوعًا من العَبَث والتَّهويم عند المتخرِّصين؛ ولذا وجب إيناسُ المتَّقين، وتثبيت المتردِّدين، وإقامة الحجة على المنكرين بتَرْدَادِ معاني الشريعة.

إنَّ من طبيعة البشر حبَّ الزيادة والكثرة والنَّماء في الأبدان والأموال والذُّرِّيَّة، وهي طبيعة بشرية لا تُذَمُّ من حيث هي؛ فقد ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤] شهوات ونساء وبنين وقناطير الذهب والفضة وخيول ونَعَم وحرث، كلها جاءت على جهة الجمع، والبشر مجبولون على حبها والاستكثار منها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ)[1].

ودعا رسولُ الله ﷺ لأنسِ بن مالك ﷺ فقال: (اللهمّ أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته)[2]، وحب المال فطرة إنسانية قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر:٢٠]، والتكاثر المذموم هو المُلهِي المُطغِي قال الله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١].

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٩) و(٣٣٩١) و(٧٤٩٣).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٣٧٨) و(٦٣٧٩)، ومسلم (٢٤٨٠) و(٢٤٨١).

أما (مُطلَقُ التكاثُرِ فليس بمذموم، بل التكاثر في العلم والطاعة والأخلاق الحميدة هو المحمود، وهو أصل الخيرات)[١].

فالتكاثر المذموم في القرآن هو المنسوب للبشر الذين يغلب عليهم الظلم، والجهل، والفُتُور، والكُنُود، قال الله تعالى: ﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]. ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

(فالنفوس الشريفة العُلوية ذات الهِمَمِ العالية إنما تُكاثر بما يدوم عليها نفعه وتكمُل به وتزكو وتصير مُفلحة، فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك وينافسها في هذه المكاثرة ويسابقها إليها، فهذا هو التكاثر الذى هو غاية سعادة العبد، وضده تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم، فهذا تكاثرٌ مُلْه عن الله والدار الآخرة، هو صائر إلى غاية القلة، فعاقبة هذا التكاثر قَلٌّ وفقر وحرمان)[٢].

فحب الزيادة والنماء في الخير مجبولٌ عليه الإنسان مع سَعَته، فإذا ادلهمَّتْ عليه الخطوب كان أحوج ما يكون إليه، ولذا شاع طلب الخير والنماء بطرق خَفِيَّة ليس على قانون الأسباب المعتاد، فالمؤمن يطلبها من الطرائق الشرعية ومن كان دون ذلك يطلبها بطرق غير مشروعة، ولذا

(١) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (٣٢/ ٢٧٠).
(٢) عُدَّةُ الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص:١٦٢).

سَمَّتِ الشريعةُ طلب النماء من غير قانونها المعتاد بركةً وتبَرُّكا، فتَمْرُ العجوة ليس بذي تأثير مباشر في المسِّ والسحر على جهة الظاهر، وماء زمزم يروي الظمأ ولا يُشبع الجائع، والأصابع الشريفة للنبي الكريم لا تُنبع ماءً، والطعام القليل لا يكفي الكثرة الكاثرة، والبُكور ليس بذي مَزِيَّةٍ عن الغروب ولكنه مبارك، ووسط الطعام مبارك كثير خيرُه بالنصِّ النبوي لا بالنظر الظاهر، فما ثَمَّةَ مَزِيَّةٌ على حوافِّ صَحْفَةِ الطعام، والاستغفار يجلب الرزق بنص القرآن، وما ثَمَّةَ ارتباطٌ ظاهر، ولكنها البَرَكَة في كل ما تقدم أحَالَتْه عن صفته المعتادة.

ونظرًا لخروج التبَرُّك عن القانون المعتاد وجب قَصْرُه على ما نصت الشريعة عليه، فالبَرَكَة فرع عن الإيمان بالغيب، وقد امتدح اللهُ تعالى المؤمنين بالغيب فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وها هنا أذكر جملةً صالحة مما يصحُّ التبَرُّك به:

١ - ملازمة الإيمان والتقوى سببٌ لتحصيل البَرَكَة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٢- التبَرُّك بالأماكن والأزمان التي نصَّتِ الشريعة على بركتها، ومنها:

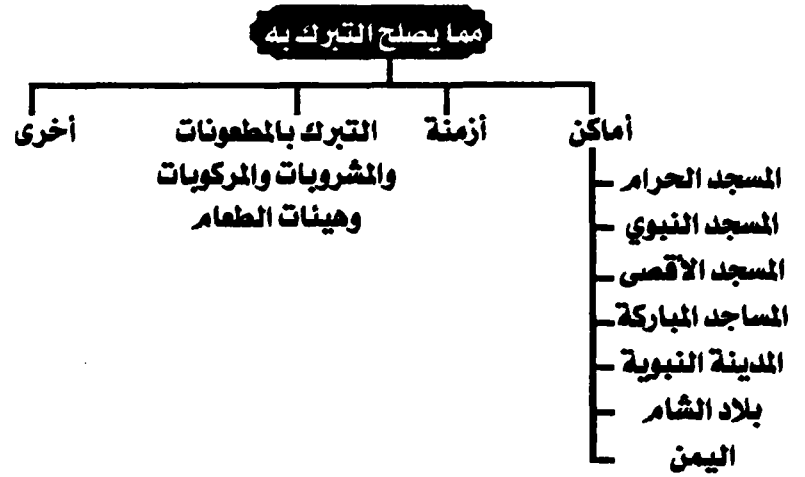

فمن أ/ الأماكن:

١- المسجد الحرام: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ)(١).

٢- المسجد النبوي: عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ)(٢).

(١) مسند أحمد: ٣/ ٣٤٣.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

والبَرَكَة والخير حالَّةٌ فيه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ المَازِنِيِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)[1].

٣-المسجد الأقصى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

٤-المساجد مُبارَكة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)[2].

٥- المدينة النبوية ففي سُكناها خيرٌ وبركة: عن أنسٍ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة)[3].

والبَرَكَة في مُدِّها وصاعها ومِكْيالها: عن أبي هريرة أنه قال:(كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا)[4].

٦- بلاد الشام سُكناها يَجلب البركة: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).
(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٨٥)، ومسلم (١٣٦٩).
(٤) صحيح مسلم (١٣٧٣).

١٣٧]. ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ٧١]. ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨١].

(وبركتها دينية ودنيوية، فهي مقر الأنبياء ومَهبط الملائكة، وبركتها الدنيوية بكثرة الثمار والأقوات والخَصْب والرزق)[1].

ودعا النبي ﷺ للشام بالبَرَكَة فقال: عن ابن عمر قال:(اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)[2].

٧- اليمن وقد دعا لها النبي ﷺ بالبَرَكَة كما تقدم.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٧)، وتفسير البغوي (٣/ ٦٢).
(٢) صحيح البخاري (١٠٣٧) و(٧٠٩٤).

ب/ الأزمان فنُدرَك بركتُها بموالات الخيرات وعُمران الأوقات فيها.

١- ومن أعظم الأزمان المباركة رمضان وعشره الأخيرة، وليلة القدر، (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه).. (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه).. (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)[١].

٢- والعشر من ذي الحجة وخيرها يوم عرفة: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ. قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)[٢].

عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة فقال: (يكفر السنة الماضية والباقية)[٣].

٣- ويوم عاشوراء: عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: (يكفر السنة الماضية)[٤].

(١) صحيح البخاري (٣٧) و(٣٨) و(١٩٠١)، ومسلم (٧٥٩) و(٧٦٠).
(٢) صحيح البخاري (٩٦٩).
(٣) صحيح مسلم (١١٦٢).
(٤) صحيح مسلم (١١٦٢).

٤- ويوم الجُمُعة: أبو هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا)[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا: أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: (فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا [٢].

٥- ويوما الاثنين والخميس: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا)[٣].

٦- وقت النزول الإلهي في كل ليلة في ثلث الليل الآخر: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)[٤].

٧- أكلة السُّحور: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً)[٥].

---

(١) صحيح مسلم (٨٥٤).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).
(٣) صحيح مسلم (٢٥٦٥).
(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).
(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

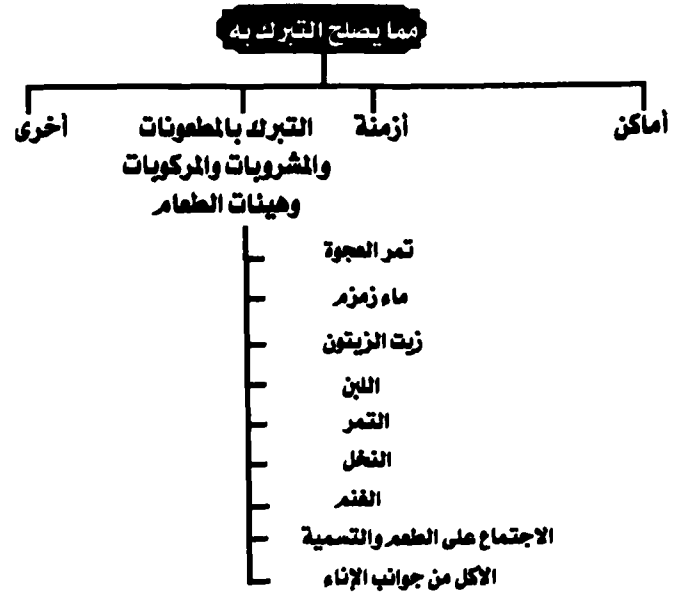

٣- التبَرُّك بالمطعومات والمشروبات والمركويات وهيئات الطعام:

(١) تمر العَجْوة: عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ)[١].

(٢) ماء زمزم: قال أبو ذَرٍّ: إن النبيَّ ﷺ قال: (إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ)[٢].

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٥)، ومسلم (٢٠٤٧).
(٢) صحيح مسلم (٢٤٧٣).

(٣) زيت الزيتون: عن أبي أَسِيد قال: قال النبي ﷺ: (كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)[١].

(٤) النخل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ). فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ التَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ فَسَكَتُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (هِيَ النَّخْلَةُ)[٢].

(٥) الخيل: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (البَرَكَة في نواصي الخيل)[٣].

(٦) الغنم: عَنْ أُمِّ هَانِئٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: (اتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً)[٤].

(٧) الاجتماع على الطعام والتسمية: حَدَّثَنِي وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ، قَالَ: فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ)[٥].

---

(١) سنن الترمذي (١٨٥٢)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٩).
(٢) صحيح البخاري (٥٤٤).
(٣) صحيح البخاري (٢٨٥١)، وأخرجه مسلم (١٨٧٤).
(٤) سنن ابن ماجه (٢/ ٧٧٣ - رقم ٢٣٠٤)، وهو صحيح؛ انظر: السلسلة الصحيحة (٧٧٣).
(٥) سنن أبي داود (٣٧٦٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٢٨).

(١٠) الأكل من جوانب الإناء: عن ابنِ عبَّاس: أن النبي ﷺ قال: (البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ)[1].

(١١) لَعْقُ الأصابع بعد الأكل ولعق إناء الطعام وأكل اللُّقْمَةِ الساقطة: عن أنس: أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، قَالَ: وَقَالَ: إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ)، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ، قال: (فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ)[2].

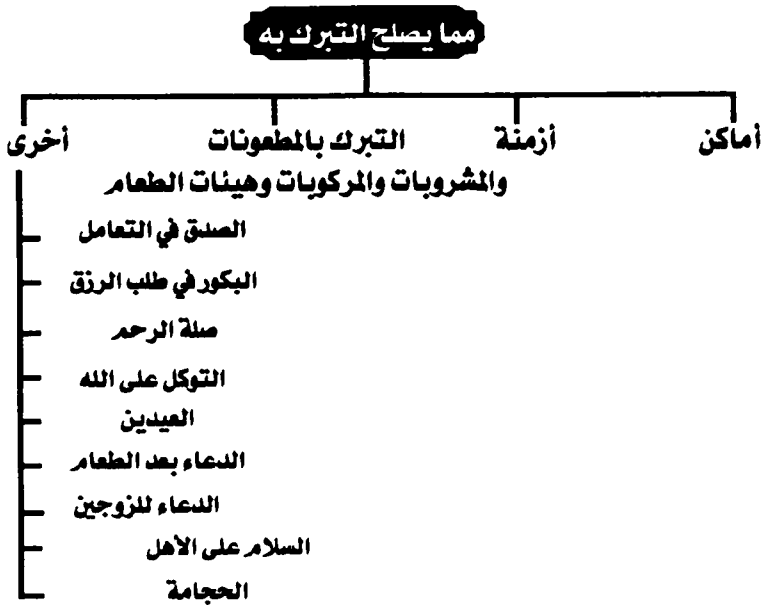

(١) سنن الترمذي (١٨٠٥)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.
(٢) صحيح مسلم (٢٠٣٤).

٤- التَّبَرُّك بأمور متعدِّدة في حياة الإنسان ومعاشه، منها:

(١) **الصِّدق في التعامل**: عن حكيم بن حزام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**)[١].

(٢) سَخَاء النَّفْس في طلب المال: عن حَكِيم بْنِ حِزَام ﷺ قال: (سألتُ رسولَ الله ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى.

قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ)[٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥).

(٣) البُكور في طلب الرزق: عن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهمَّ بارك لأمتي في بُكورها)[١].

(٤) البرُّ والإنفاق؛ صدقةً وزكاةً، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[الروم: ٣٩]، وقال: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[البقرة: ٢٧٦]، وقال:﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[سبأ: ٣٩]، وقد ثبت في الحديث القدسي عند مسلم قول الله تعالى: (يا ابنَ آدم أنْفِقْ، أُنْفِقْ عليك)[٢]، واتفق الشيخانِ على حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)[٣].

(٥) صِلَةُ الرَّحِم، التي قطعها كثير من الناس لأجل الدنيا وكسبها، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[٤] وبسط الرزق: توسيعه وتكثيره أو البَرَكَة فيه.

(٦) التوكُّل على الله، وهذا من تمام التعلُّق به وتوحيده، فالمرْءُ يبذل أسباب الرزق، ثم لا يتعلق بها أو بمن جعله الله سببًا لها، بل بمُسدِي

(١) سنن الترمذي (١٢١٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.
(٢) صحيح مسلم (٩٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٤) رواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

النعمة، وقد روى الإمام أحمد والترمذي وصحَّحه حديث الفاروق عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[1].

(٧) العيدان: ويبدأ الناس بصلاة العيد يشكرون الله فيها على ما أعطاهم من نِعَمِه الكثيرة؛ فيُبارِك لهم في هذه النعم ويَزيدها ويُنمِّيها لهم، ولذلك تقول أُمُّ عطية رضي الله عنها: (كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ العِيدِ حَتَّى نُخْرِجَ البِكْرَ مِنْ خِدْرِهَا، حَتَّى نُخْرِجَ الحُيَّضَ، فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ، فَيُكَبِّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ اليَوْمِ وَطُهْرَتَهُ)[2].

(٨) الدُّعاء بعد الطعام: عن أبي أُمامةَ ﷺ، أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: (الحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا)[3].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَقَالَتْ: أَلا نُطْعِمُكُمْ مِنْ هَدِيَّةٍ أَهْدَتْهَا لَنَا أُمُّ عُفَيْقٍ[4] ؟ قَالَ: فَجِيءَ بِضَبَّيْنِ مَشْوِيَّيْنِ، فَتَبَزَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥) ، وابن ماجه (٤١٦٤)، والترمذي (٢٣٤٤)، وصحَّحه الأرنؤوط والألباني (الصحيحة: ٣١٠).

(٢) صحيح البخاري رقم (٩٧١).

(٣) صحيح البخاري (٥٤٥٨).

(٤) قال الحافظ ابنُ حجر فيما نقله ابن عَلان عنه في "الفتوحات الربانية" (٥/ ٢٣٨): "ووقع في رواية ابن عيينة في هذه الطريق (أم عُفيق) بالعين المهملة والفاء ثم القاف مُصغرًا، وأصلُ الحديث في الصحيح بلفظ (أم حفيد) أوله حاء مهملة وآخره دال وهو المشهور ... وهي أختُ ميمونة وأختُ لُبابة الكبرى أمّ ابن عباس" .

فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: كَأَنَّكَ تَقْذَرُهُ؟ قَالَ: " أَجَلْ "، قَالَتْ: أَلا أُسْقِيكُمْ مِنْ لَبَنٍ أَهْدَتْهُ لَنَا؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: فَجِيءَ بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَخَالِدٌ عَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ لِي: "الشَّرْبَةُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا" فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِسُؤْرِكَ عَلَيَّ أَحَدًا، فَقَالَ: مَنْ أَطْعَمَهُ اللهُ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ)[1].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللهِ عَلَى أَبِي قَالَ: فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ، إِلْقَاءُ النَّوَى بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ، ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ فَقَالَ أَبِي، وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللهَ لَنَا، فَقَالَ: (اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ)[2].

(٩) الدعاء للزوجين:

عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُشَمٍ، فَقَالُوا: بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ، فَقَالَ: لاَ تَقُولُوا هَكَذَا، وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ)[3].

(١) أخرجه أحمد (١٩٧٨) والترمذي (٣٤٥٥) وقال: حديث حسن، وكذا حسنه الألباني والأرنؤوط.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).
(٣) أخرجه ابن ماجه (١٩٠٦) وصحّحه الألباني.

وعنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذَا رَفَّأَ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ قالَ: (بَارَكَ الله لك، وبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا في الْخَيْرِ)(١).

(١٠) السَّلامُ على الأهل:

عن أنسِ بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ)(٢).

(١١) الحجامة:

أخرج البيهقي وابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (الْحِجَامَةُ عَلَى الرِّيقِ أَمْثَلُ، وَفِيهِ شِفَاءٌ وَبَرَكَةٌ، وَتَزِيدُ فِي الْعَقْلِ وَفِي الْحِفْظِ، فَاحْتَجِمُوا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَاجْتَنِبُوا الْحِجَامَةَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ تَحَرِّيًا، وَاحْتَجِمُوا يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءِ، فَإِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي عَافَى اللهُ فِيهِ أَيُّوبَ مِنَ الْبَلَاءِ، وَضَرَبَهُ بِالْبَلَاءِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْدُو جُذَامٌ وَلَا بَرَصٌ إِلَّا يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ أَوْ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ)(٣).

(١) أخرجه أحمد (٨٩٥٧)، و أبو داود (٢١٣٠) ، والترمذي (١٠٩١) وقال: حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٩٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٨): حسن لغيره.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٤٨٧)، وحسّنه الألباني بمجموع رواياته كما في السلسلة الصحيحة (٧٦٦).

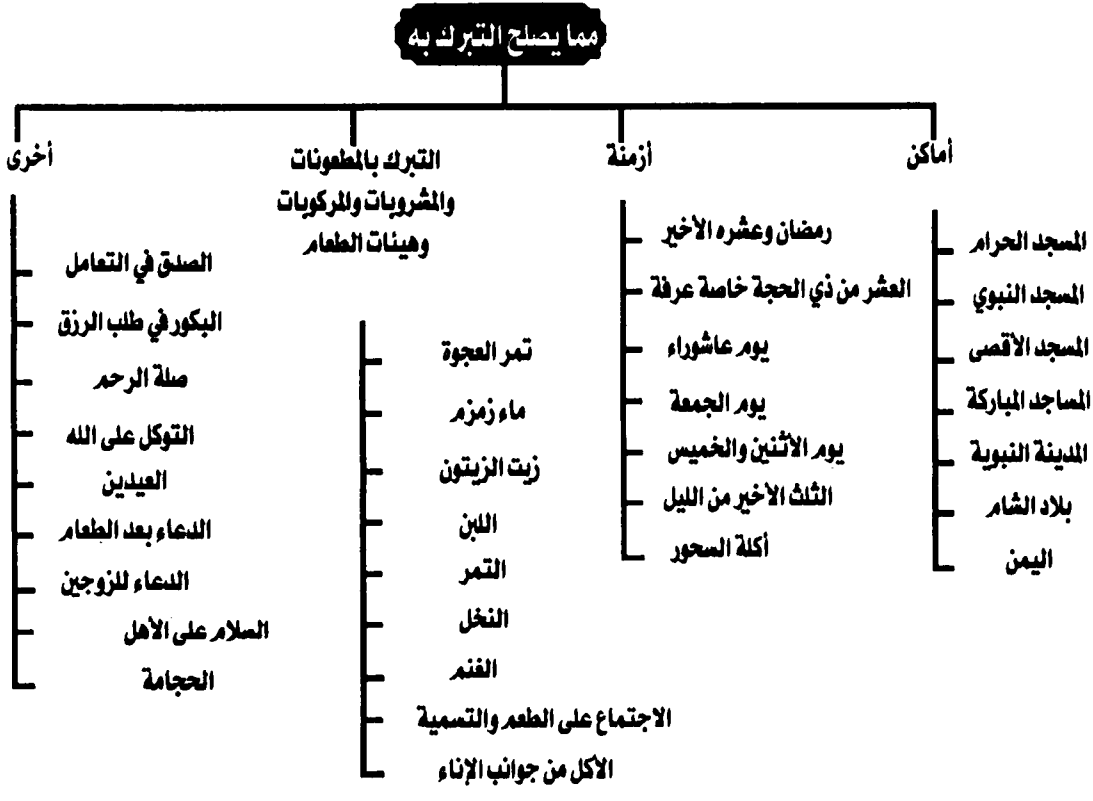
مما يصلح التبرك به
أماكن
المسجد الحرام
المسجد النبوي
المسجد الأقصى
المساجد المباركة
المدينة النبوية
بلاد الشام
اليمن
أزمنة
رمضان وعشره الأخير
العشر من ذي الحجة خاصة عرفة
يوم عاشوراء
يوم الجمعة
يوم الاثنين والخميس
الثلث الأخير من الليل
أكلة السحور
التبرك بالمطعومات والمشروبات والمركوبات وهيئات الطعام
تمر العجوة
ماء زمزم
زيت الزيتون
اللبن
التمر
النخل
الغنم
الاجتماع على الطعام والتسمية
الأكل من جوانب الإناء
أخرى
الصدق في التعامل
البكور في طلب الرزق
صلة الرحم
التوكل على الله
العيدين
الدعاء بعد الطعام
الدعاء للزوجين
السلام على الأهل
الحجامة

البَرَكَةُ في حياة المُسلم

د. عطية عدلان

إنها -بحقٍّ- ظواهر تستلفت النظر، وتستثير التأمل والتفكير، تلك التي لا تقلُّ في إبهارها وإعجازها وأخذها بمجامع القلوب عن كثيرٍ من الآيات الكونية الرائعة، وكثيرٍ من البراهين الشرعية الساطعة!

كيف وقعت مثلُ هذه الأمور على هذا النحو من الإبهار والإعجاز؟!

كيف استطاع رسول الله ﷺ في ثلاثٍ وعشرين سنة فقط، ووسط ذلك المحيط الضخم من الجاهليات العاتية العادية - أن يبنيَ أمةً عقِمت أرحامُ القرون والدهور أن تلدَ مثلها، وأن يشيد حضارة لم ولن تسعدَ البشرية بمثلها منذ مولدها إلى أن تُطوى صفحة هذه الحياة الدنيا؟!

وكيف استطاعت هذه الأمَّة الأمِّية، التي خرجت من قاع الصحراء بأقل جيوش أمم الأرض عددًا وعُدة، أن تُسقط الإمبراطوريات العتيقة، وأن تَبسط سلطانها في أقل من ربع قرن من الزمان على المعمورة، من حدود الصين إلى شواطئ الأطلسي؟!

وكيف استطاع علماءُ هذه الأمة أن يصنعوا مثل هذه المعجزات الباهرة، إلى حد أن الواحد منهم -في عمر قصير- يكتب من المؤلَّفات ما يحتاج منَّا إلى أعمار مديدة لقراءتها وتعلُّم ما فيها ؟!

هذه الظواهر -وأمثالها كثير- ليس لها إلا تفسير واحد؛ إنها البركة.

أجل إنها البركة..

البَرَكَة التي إن وُجدت وحلَّت، اتسعت الأوقاتُ، وتضاعفت الطاقات، وتحققت الإنجازات، ووقعت المعجزات، وإن فُقدت أو رحلت، فربما خرج الإنسانُ من هذه الحياة -مهما طال عمره، وكثُر سعيُه- بلا زاد قدَّمه، ولا أثر خلَّفه.

والبَرَكَة تعنى تكاثرَ الخير ونمائه واستقراره واستمراره[1]، ومصدرها الذى تُلتمس منه واحد، إنه الله تبارك وتعالى، فهو وحده الذى (تَبَارَكَ) أي: كثُرت بركاتُه وتزايد خيره[2] قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١]، وقال: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

لذلك علَّمنا رسول الله ﷺ أن نلتمس البَرَكَةَ من الله وأن نسأله إياها، فها هو - على سبيل المثال - كان إذا رأى باكورة الثمر دعا الله تعالى وسأله البركة؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى الثمر أُتي به

(١) انظر مختار الصحاح (ص: ٤٩)، والمعجم الوسيط (ص: ٥٢)، والمفردات في غريب القرآن (ص: ٢٤)، ومعجم مقاييس اللغة (ص: ٢٣٠).
(٢) انظر المحرر الوجيز (٦/ ٤١٦)، إعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/ ٣٢٥).

فيقول: (اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثِمَارِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَفِي صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ) ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ[1].

هذه البَرَكَة الربانية حلَّت على هذه الأرض قبل أن يستخلف اللهُ الإنسان فيها بملايين السنين، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ٩ - ١٠]، وبارك فيها أي: جعلها مباركةً قابلة للخير والبذر والغراس[2].

لكنْ يَنتَفعُ ببركات الله في هذه الأرض الذين اتقَّوا ربَّهم وعَمَرُوها بمنهج الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وعلى العكس من هذا فإن التغيير والتبديل والإعراض عن منهج الله تعالى سبب لزوال البَرَكَة وذهاب الخير؛ وقد قصَّ الله تعالى علينا نبأ (سبأ) الذين أُبدلوا من بعد البركات والنماء محقًا؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ

(١) رواه مسلم (١٣٧٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٩٠).

قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٦]، وبيَّن الحق تبارك وتعالى أن هذه الأرض التي بارك فيها قد مُلئت فسادًا بسبب ما اكتسبت أيدى العباد، فقال سبحانه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

وإذا كانت البركات الربانية قد سبقت بني الإنسان إلى هذه الأرض؛ إنعامًا من المولى على عباده، فإنها كذلك قد تبعَتْهم وتداركتهم في كتبه المنزلة وشرائعه المحكمة؛ لتتمَّ عليهم النعمةُ بالهداية والرشاد، قال تعالى عن القرآن الكريم: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ومعنى مبارك أي: كثير المنافع والفوائد[1] وقد وصفه الله بالبَرَكَة لأنه يبارك من اتبعه وعمِل به[2].

فالذين يتَّبعون كتاب الله، ويعملون به، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار يُبارك لهم؛ يُبارَك لهم في قلوبهم وإيمانهم وأعمالهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨]، ويبارك لهم في أرزاقهم ومعايشهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) تفسير النسفي (٢/ ٢٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥).

أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة: ٦٦]، والمقصود بما أنزل إليهم من ربهم: القرآن[1].

ولقد أشارت نصوص القرآن والسنة إلى أسبابٍ تُلتَمَسُ بها البَرَكَةُ من الله ﷻ، وفيما يلي بيان لبعض هذه الأسباب:

١- تقْوَى الله ﷻ والتوكُّل عليه: يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، فليس هناك أعظمُ بركة من أن يأتيَ للإنسان رزقُه من حيث لا يحتسب ولا يتوقَّع، وأن يكون الله ﷻ هو حَسْبَه وكافيَه في تحقيق ما يؤمِّل ودفْعِ ما يحاذر، وأن يجعل الله تعالى له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، إنها أسباب البركة الواسعة، والعافية السابغة، والخير الكثير المتنوع المتعدد، تجتمع وتتكاثر حول من يتَّقي اللهَ ويتوكَّل عليه، ويمتلئ قلبُه بخشيته وتفويض الأمر إليه.

٢- الاستغفار مع ترك الإصرار: إن ذنوبَ الإنسان ومعاصيَه لتَحجُب عنه البركاتِ التي أودعها الله ﷻ في هذه الأرض، والتي بثَّها في وحيه المعصوم، وشريعتِه المحكَمة؛ فإذا به يسعى ولا بركة في سعيه، ويجمع ولا بقاء ولا قرار لِما يجمعه، فإذا ما ثاب إلى رشده، وآبَ إلى ربِّه، ولهج لسانُه بالاستغفار؛ فإن هذا الاستغفارَ الحارَّ يمزِّق

(١) تفسير ابن كثير(٢/ ٧٣).

الحُجُبَ، ويحرق الأستار، التي كانت تحول بين العبد وما ساق الله له من البركات، فإذا بالخير يتدفَّق من كل جانب، وينحدر من كل صَوْب، على هذا النحو الذي صوَّره القرآن، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، وقال جلَّ شأنه: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣].

٣- الدُّعاء بالبركة: فمما لاشكَّ فيه أن الدعاء هو أقربُ الأسباب لنيل ما عند المولى ﷻ من الخير، فمن دعا الله تعالى بالبَرَكة فاستجاب الله دعاءه؛ فإنه يحصِّلُ البَرَكَةَ من أخصَرِ طرقها؛ لذلك كان رسول الله ﷺ يُعطيها من يحب، فعن أنس قال: (مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ، مِنْ أُمِّ سُلَيْم، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا.

فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ بِما كان ابْنَكَ.

فغضب أبو طلحة وانطلق حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: (بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا) قال: فحَمَلَتْ وأنجبت بعد ذلك عشرةَ أولادٍ كلهم يقرؤون القرآن[1].

٤ - سلوك السبيل السَّويِّ في الكسب والاسترباح وطلب الرزق الحلال والتعفُّف عن الحرام وعن الشُّبُهات: فإذا كان المسلم ينشُد البَرَكَةَ في رزقه وفي صحته وفي ولده؛ فعليه بتحرِّي الحلال في التكسب، وبالترفع عن كل ما لا يحِلُّ له من المال والمتاع، وعليه بالصدق والأمانة والعِفَّة والصيانة، وألا ينغمس في الرِّبا أو الغشِّ أو ما شابه ذلك من المحرمات التي فيها أكلٌ لأموال الناس بالباطل، فإنه إن سار على منهج الله فإن البَرَكَة ستحِلُّ في كسبه ورزقه وحياته كلها.

وهذه نماذجُ متفرقة من النصوص النبوية تقرِّر وتؤكد هذه الحقيقة:

عن حَكيم بنِ حِزام ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)[2].

و عن ثوبان قال: (جاء حَكِيم بن حِزام فسأل النبي ﷺ فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، فقال: (يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ

(١) صحيح مسلم (٢١٤٤).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى).

قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ)[1].

وقال الله تبارك وتعالى عن الربا ومَحْقه للبركة: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٥- البر والصلة وحُسن المعاملة مع الخَلق:

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[2]، والمقصود بقوله يُنسأ له في أثَره: أن تحصُلَ له البَرَكَةُ في عُمره، وأن يوفَّق للطاعات، ولعِمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة[3].

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (٢٤٣٤).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).
(٣) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٢٩).

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ)(١).

٦- حُسْن تنظيم الوقت والمبادرة إلى اغتنامه: فالوقتُ هو رأس مال المسلم، ومسؤولياتُه في هذه الحياة تضيق بها الأوقات، وتفنى فيها الأعمار؛ لذلك كانت المبادرةُ إلى اغتنام الوقت وحُسن تنظيمه واجبًا من الواجبات الكبار؛ لأن واجباتِ المسلم لا تتمُّ إلا بهذا، وما لا يتم الواجبُ إلا به فهو واجبٌ، وقد دعا النبي ﷺ لأمته بالبَرَكَة في بكورها ؛ لأن البكور مبادرةٌ إلى اغتنام الوقت، وتبكيرٌ إلى حسن استغلاله وتنظيمه؛ فعن صَخْر بن وَدَاعَة الغامِدِيِّ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ(٢).

٧- الجود والكرم والتكافل: يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ويقول: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كُلُوا جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا؛ فَإِنَّ طَعَامَ

(١) رواه أحمد (٢٥٢٥٩) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٢٢٣٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٩٣): صحيح لغيره.

الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ، وَطَعَامَ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الثلاثة والْأَرْبَعَةَ، كُلُوا جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ؛ فإن البَرَكَة في الجماعة)[1]، وقال ﷺ: (فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ)[2].

٨- الجهاد في سبيل الله: يقول النبي ﷺ: (الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ)[3]، فالجهاد خيرٌ وبركة على هذه الأمَّة إلى يوم القيامة، فيه الأجر الكبير والثواب الجزيل، وفيه الرِّزق الواسع الشريف الذي هو أشرفُ الأرزاق، والذي هو رزق أشرفِ الخلق محمَّد ﷺ (وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي)[4]، وفيه -إلى جانب ذلك- قيامُ الدين، وتحقيقُ مصالح العباد في الدارَيْن.

إن البَرَكَةَ نعمةٌ من نِعَم الوهاب، ونَفْحَةٌ من الواسع العليم، والكيِّس الفطِنُ هو الذي يلتمسها من المولى الكريم، ويدخل بالْتماسه على ربه من الأبواب التي رضِيها وشرَعها، والتي ذكرْنا بعضها كأسبابٍ لتحصيل البركة، وإن المسلم -وبخاصة في هذه الأزمان- لفي مسيس الحاجة إلى نيل البركات؛ ليصلَ إلى ما يريد من خيرَي الدنيا والآخرة من أقصر الطُّرق وأخصرِها.

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٨٧)، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩١)، وصحيح الجامع (٤٥٠١).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠٧٨)، وأبو داود (٣٧٦٤) ، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وقال الأرنؤوط: حسن بشواهده.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣).

(٤) أخرجه أحمد (٥١١٤)، وأورده البخاري تعليقًا في باب الجهاد من صحيحه (٤/ ٤٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣١) والإرواء (١٢٦٩).

البَرَكَة في حياةِ ابن تيمية

مُحمَّد جُمعة

البَرَكَة هي زيادة الخير والنماء إذا أنزلها الله ﷻ تعُمُّ كلَّ شيءٍ: في المال، والولد والوقت والعمل، والإنتاج والزوجة، والعلم والدعوة، والدابة والدار والعقل والجوارح، والصديق والجار..

وقد ظهرَتْ آثارها في حياة كوكبة من علماء الأمة؛ إذ قدَّموا في سنوات عُمُرهم القليلة ما عجز عنه جمعٌ غفير من الناس، بفضل البَرَكَة التي حلَّت في أوقاتهم وأعمالهم.

البَرَكَة في حياة علماء السلف - ابن تَيْمِيَّة أنموذجًا - :

وإنك لَتَعجَبُ أشدَّ العجَبِ من حال السلف وعِظَمِ ما أنجزوه وصنَّفوه؛ إلا أنك تجد أن هناك سرًّا في حياتهم وهو تمكُّنُهم من حصول البَرَكَة في جميع شئونهم؛ فكان أثر البَرَكَة في حياتهم أنهم جمعوا من العلم الشيءَ الكثير حتى قيل: إن الإنسان لو أفنى عُمُرَه في قراءتها فلن ينتهيَ منها، فكيف درَسوا هذا العلم وسجَّلوه؟!

ومن ذلك حال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة إذ يقول عنه تلميذُه ابنُ القيِّم: (وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة في سننه وكلامه وكتابه أمرًا عجيبًا؛ فكان يكتب في اليوم من التصانيف ما

يكتبه الناسخُ في جمعةٍ وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا)[١].

وقال الذهبي: (جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدِّين ابن تَيْمِيَّة فوجدت ألف مُصنَّفٍ، ثم رأيت له أيضًا مصنفاتٍ أُخَر)[٢].

قال ابنُ حَجَر: (لاشكَّ أن الشيخ الإمام العالم تقي الدِّين أبا العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام المشهور بابن تَيْمِيَّة الحرَّاني الحنبلي كان من العلم والدين والورع على جانب عظيم، وكان ذا فنون كثيرة ولاسيَّما علم الحديث والتفسير والفقه وغير ذلك، وله تصانيف شتى، وكان سيفًا صارمًا على المبتدعين، وكانت له مواعيدُ حسنة، وكان كثيرَ الذكر والصوم والصلاة والعبادة وكان أمَّارًا بالمعروف نهَّاءً عن المنكر، ونُكِبَ في آخر عمره نكباتٍ، وجرتْ عليه أمور في مسائلَ تكلَّم بها)[٣].

لم يكن هذا العملُ هو الوحيدَ عند شيخ الإسلام، وإنما كان صاحبَ عبادة وتعليم وإنكار للمنكرات وجهاد، وسُجن في آخر عمره، وخلَّف بعد وفاته مشروعًا عظيمًا لا يزال العلماء وطلبة العلم عِيَالاً عليه؛ فما السرُّ في ذلك؟! لاشك أنه من البَرَكَة في الوقت والعمل.

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم (ص: ١٠٦).
(٢) الشهادة الزكية لمرعي الكرمي (ص: ٤٣).
(٣) "تقريظ لابن حَجَر على الرد الوافر" لصفي الدِّين البخاري (ص: ١٧).

قال شمس الدّين الذّهَبِيُّ:

(أفتى ودرَّس وله نحو عشرين سنة، وصنَّف التصانيف وصارَ من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الرُّكبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعةَ آلاف كُرَّاسٍ وأكثر)[1].

فانظر كيف يستقيم له كلُّ هذا العمل؟! ولاشك أن هذا من بركات الله على هذا العالم المتبحِّر في كل فنٍّ من فنون العلم، بل في كل وجه من وجوه الخير.

يقول صاحبُ العُقود الدُّرّية:

(أما مَبْدَأُ أمره ونشأته فقد نشأ من حين نشأ في حُجور العلماء، راشفًا كُئُوس الفهم، راتعًا في رياض التَّفقُّه ودوحات الكتب الجامعة لكل فنٍّ من الفنون، لا يَلْوِي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصًا علمَ الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها، ولم يزَل على ذلك خلفًا صالحًا سلفيًّا متألِّهًا عن الدنيا، صيِّنًا تقيًّا برًّا بأمه ورِعًا عفيفًا عابدًا ناسكًا صوَّامًا قوَّامًا ذاكرًا لله تعالى، في كل أمر وعلى كل حال، رجَّاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقَّافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر بالمعروف، لا تكاد نفسه تشبع من العلم فلا تروى من المطالعة ولا تَمَلُّ من الاشتغال ولا تكَلُّ من البحث، وقلَّ أن يَدْخُلَ في علم من العلوم، من باب من

(١) الشهادة الزكية لمرعي الكرمي (ص: ٤٠).

أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبوابٌ، ويَستدرِك مستدركاتٍ في ذلك العلم على حُذَّاقِ أهله، مقصودُه الكتاب والسنة.

ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: إنَّه ليقف خاطري في الْمَسْأَلَة وَالشَّيْء أَو الْحَالة الَّتِي تُشْكِلُ عليَّ فأستغفر الله تَعَالَى ألف مرَّة أوأكثر أَو أقل حَتَّى ينشرح الصَّدْر وينحل إِشْكَال مَا أشكل، قال: وأكون اذ ذَاك فِي السُّوق أَو الْمَسْجِد أَو الدَّرْب أَو الْمدرسَة لَا يَمْنعنِي ذَلِك من الذّكر وَالاسْتِغْفَار إِلَى أَن أنال مطلوبي)[1].

ويقول: (وَلَقَد رَأَيْت من خَرْقِ الْعَادة فِي حفظ كتبه وَجَمعهَا، وَإِصْلَاح مَا فسد مِنْهَا، ورَدِّ مَا ذهب مِنْهَا، مَا لَو ذكرته لَكَانَ عجبا يعلم بِهِ كلُّ منصف أَن لله عنايةً بِهِ وبكلامه؛ لِأَنَّهُ يذُبُّ عَن سنة نبيه ﷺ تحريفَ الغالين وانتحال الْمُبطلين وتأويل الجاهلين)[2].

وقد مدَّه اللهُ بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم والتعمق والتأمل، والصدق والإخلاص، وبطء النسيان، حتى قال غير واحد من الناس: إنه لم يكن يحفظ شيئًا فينساه.

عُرف بالصبر وقوة الاحتمال في سبيل الله، وكان ذا فِراسةٍ وكان مستجاب الدعوة، وله كراماتٌ مشهودة، كان: كريمًا، سخيًّا، ورِعًا زاهدًا متواضعًا، صابرًا، خلوقًا فاضلًا مجاهدًا، فصيحًا وكثير العبادة، ويُؤْثِرُ

(١) العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص: ٢١).
(٢) المصدر السابق (ص: ٨٢).

الفقراء والمساكين والمحتاجين على نفسه في الطعام واللباس، وحضَّ على جهاد المغول وحرَّض الأمراء على قتالهم، وكان له دور بارز في انتصار المسلمين في معركة شَقْحَب التي وقعة سنة ٧٠٢هـ وانتصر فيها المسلمون انتصارًا عظيمًا، وكان ابنُ تَيْمِيَّة يقول للأمراء والناس آنذاك: إنكم في هذه المرة منصورون.

فيقول له الأمراء: قلْ: إن شاء الله.

فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا[1].

لقد جرَّد سيفه لقتال التتار؛ فجمَع الجموع لملاقاتهم، ووحَّد صفوف المسلمين لحربهم، وخاض المعارك ونصرَه اللهُ عليهم.

إن دراسة البَرَكَة في حياة العلماء الربَّانيين مما يَحْتاجُ إليه العالم والمتعلِّم والمُربِّي، والداعيةُ إلى الله، وأصحاب الأعمال، وأصحاب الأموال وغيرُهم من الأمة الإسلامية، يحتاجون إليه وخاصةً الدعاة والعلماء وطلبة العلم، وحتى يتمثلوا بقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، في أي مكان وزمان؛ فالبَرَكَة جعلها الله في تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله؛ فكل مَن جالسه أو اجتمع به نالتْه بركتُه، وسعَد به مصاحبُه.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٤٨٩).

وإن الناظر في أيامنا هذه لَيَلْحَظ أن تلك البَرَكَة قد قلَّت أو تلاشت من حياة الناس، فقد روى الترمذي في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ)[1].

وقال في تحفة الأحوذي[2]: (قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ رَحِمَهُ الله: يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى قِلَّةِ بَرَكَةِ الزَّمَانِ وَذَهَابِ فَائِدَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَوْ عَلَى أَنَّ النَّاسَ لِكَثْرَةِ اهْتِمَامِهِمْ بِمَا دَهَمَهُمْ مِنَ النَّوَازِلِ وَالشَّدَائِدِ وَشُغْلِ قَلْبِهِمْ بِالْفِتَنِ الْعِظَامِ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ تَنْقَضِي أَيَّامُهُمْ وَلَيَالِيهِمْ).

ومع هذا، فإنَّ فضلَ الله تعالى واسعٌ، ولا يخلو زمانٌ من الأزمنة من طائفة تسير على جادَّةِ السابقين، وتحمل لواء السَّلَفِ الصالحين، ونسأل الله تعالى أن يوفِّقَنا لما يحبُّ ويرضى وأن يفتح علينا بركاتٍ من السماء والأرض.

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب تقارب الزمان وقصر الأمل، (٢٣٣٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢٣٣٢).
(٢) (٦/ ٥١٤)، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

التبرُّك المُنحرِف (بَواعِثه ومظاهره)

أكرم مبارك عصبان

إنَّ مِن أهمِّ بواعثِ الانحراف في كثير من المفاهيم يعودُ إلى وجود اللَّبْسِ في المعنى، فيركب المبطلون إجمالَ اللفظ ابتغاءَ تمريرِ معناه المنحرف، وتلبيسًا على الأمة التي تقبله بمعناه الصحيح، ويُثمر هذا اللبسُ كتمانَ الحق، وقد حذر القرآن من هذا المسلك؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١].

فالتوسُّلُ والتبَرُّك وزيارة القبور والزهد مثلًا يستغلها أهل الباطل ويلبسون شركهم في مضامينها، وقد احتوت على معنى شرعيٍّ وآخرَ بِدْعِيٍّ وثالثٍ شِرْكيٍّ، فيطلقونها ويقصدون بها المعنى المنحرف، ويلبسون عليه ثوب الأدلة للمعنى الصحيح، فيقع الناس في أمر مَرِيج، وهكذا دخل أهل الباطل على العامة، وساغت مفاهيمهم؛ إذ لو أظهروا قصدهم لنكِرَهم الناس؛ فإنه لا يرضى الوقوعَ في الشرك أحدٌ إلا أن يشاء الله؛ فيعمدون إلى هذا المكر.

ومن الخلط البيِّنِ هنا ما يقع في مفهوم التبَرُّك الذي نريد أن نُزيلَ الإشكال على الانحراف الذي دخل عليه، ونسُدُّ الذرائع المُفضِية إلى الشرك بالله ﷻ تحت هذا المسمَّى، وهو بريء من لَوْثته.

وقبل أن نفيض في الحديث عن المعنى المنحرف يجدُر بنا أن نوضح معناه وقسمه الصحيح الذي تؤازره النصوص، حتى لا نضاهيَ سبيل الغالطين الذين إن رأوا الوجه القبيح من الشيء ردُّوه كلَّه، فتصيبهم مَعَرَّةٌ بغير علم، ويطيب لأهل الباطل في نقدهم إذ إنهم حين ردوه برمته ردوا المعنى الصحيح الذي يحتويه، وهذا سبيل من يُبادِر في الإنكار، ويفارق الإنصاف، كما هو الحال في الألفاظ المجملة.

فالتبَرُّك هو طلبُ البركة، وطلب البَرَكَة لا يخلو من أمرَيْن:

إمَّا أن يكون التبَرُّك بأمر شرعي معلوم دلَّتْ عليه النصوص، مثل: القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام: ٩٢]، وصُوَرُ بركته كثيرة، وإما أن يكون التبَرُّك بأمر غير مشروع، كالتبَرُّك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، مما نبين حقيقته، من خلال هذه المحاور، ولكن نذكر أولًا أهمَّ البواعث للوقوع في التبَرُّك المنحرف وهي:

- الخلطُ المتعمَّد بينه وبين المشروع كما سبق.

- تبنِّي أهل الغلبة لترويجه، الذين لا يلُوون على النصوص، وإنما يفعلون ما أُشرِبَتْه قلوبُهم من كل شُبهة.

- الجهل بدين الله، فلا يرى الجهَلة بأسًا من مُضاهَاةِ المشركين.

- الفتنة بما يحصل من صلاحٍ أو خيرٍ للمتبَرَّك به، فيرتكس مَن لا حظَّ له من الحق في عبادة غير الله باسم التبَرُّك.

- الشَّهْوة الخفية من الجاهِ والمال الذي يتحصَّل به بعض من يحافظ على هذا التبَرُّك المنحرف.

وبعد ذكر هذه الدواعي، نأتي إلى وجودها في المظاهر عبر المعالم التالية:

أولاً: القرآن يسد الذرائع:

من التبَرُّك الممنوع ما رآه الغالبون على الأمر في شأن أصحاب الكهف، حيث بنَوْا عليهم مسجدًا، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، وهذا فيه دلالة إلى الخطوات التي تقود إلى مثل هذا اللون من التبَرُّك الممنوع، وهو كون أصحاب الكهف صالحين قد ظهرت لهم كرامة وآية ظاهرة جَعَلت فئةً من الناس تبتدع هذه البدعة.

وفي تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ قال: (حَكَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي الْقَائِلِينَ ذَلِكَ قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِنَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ. وَالثَّانِي: أَهْلُ الشِّرْكِ مِنْهُمْ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنُّفُوذِ. وَلَكِنْ هَلْ هُمْ مَحْمُودُونَ أَمْ لَا؟ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: (لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى،

اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ)[1] يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا. وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، أَنَّهُ لَمَّا وَجَدَ قَبْرَ دَانْيَالَ فِي زَمَانِهِ بِالْعِرَاقِ، أَمَرَ أَنْ يُخْفَى عَنِ النَّاسِ، وَأَنْ تُدْفَنَ تِلْكَ الرُّقْعَةُ الَّتِي وَجَدُوهَا عِنْدَهُ، فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَلَاحِمِ وَغَيْرِهَا)[2].

وقال الحافظ ابنُ رجب في فتح الباري في شرح البخاري عند حديث: (لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ): (وقد دلَّ القرآن على مثل ما دلَّ عليه هذا الحديث، وهو قول الله ﷻ في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغَلَبة على الأمور، وذلك يُشعِرُ بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصِر لما أنزل الله على رسله من الهُدى)[3] اهـ.

فمن البواعث على رَواج التبَرُّك المنحرف قيامُ أهل الغلبة والمُلك على العناية به، وهكذا ترى أن الذي يتولى هذه المخالفات هم ممن لا حظَّ له من العلم والهدى، وإنما هو اتباع الهوى، لأن هذا البناء يُفضي إلى تعظيم المقبورين، والافتتان بهم، وصَرْفِ العبادة إليهم، كل ذلك باسم التبَرُّك بهم، وقد قال النووي في شرح مسلم: (قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (١٣٣٠)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها، (٥٢٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٧).
(٣) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٢٨٠).

اتِّخَاذ قَبْرِهِ وَقَبْرِ غَيْرِهِ مَسْجِدًا خَوْفًا مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي تَعْظِيمِهِ وَالِافْتِتَانِ بِهِ فَرُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا جَرَى لِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ)[1].

وصيانةً لجَناب التوحيد تأتي تَعْمِيَةُ قبر دانيال التي أشار إليها ابنُ كثير آنفًا؛ لئلا يَفتَتِن به الناسُ بحجة التبَرُّك بقبره، وقد وجدوه ميتًا كما قال أبو العالية: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعمِّيَه على الناس؛ لا ينبشونه[2].

والحقُّ أبلج، ولكن أمرًا قد بدا للغالبين في إضلال العامة، فيحجبون نور الحق، ويُزْدُون أتباعَهم في المهاوي؛ فلا يسمعون لوعظ النصوص كما قال الأول:

كأنّي أُنادي صخرةً حين أعرضتْ ... من الصُّمِّ لو تمشي بها العصمُ زلَّتِ

ثانيًا: السنة والنكير على التبَرُّك الشركي:

لقد كان للمشركين سِدْرةٌ يتبَرَّكون بها، ويعلِّقون أسلحتهم عليها رجاءَ النصر على أعدائهم، فعن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حُنين، ونحن حديثو عَهْدٍ بكفر، وللمشركين سِدْرةٌ يعكفون حولها، ويَنُوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فقال النبي صلى الله

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ١٣).
(٢) وقد ذكر هذه القصةَ ابنُ كثير في البداية والنهاية، (٢/ ٤٠)، وقال: إسناده صحيح إلى أبي العالية، وذكر لها أيضًا طرقًا أخرى تؤكد أن القصة واقعة وصحيحة.

تعالى عليه وآله وسلم: (الله أكبر، هذا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)[١].

فهؤلاء بعض مُسلِمَةِ الفتح ممن لم يَفْقَهْ في الإسلام أراد أن يَنُوطَ السلاح بسدرةٍ تبَرُّكا كما للمشركين نظيرها فتعجَّب -عليه الصلاة والسلام- من هذا الجهل بالإسلام في مفهوم التبَرُّك المنحرف، وأنه مضاهاة للمشركين.

والعلة دائرةٌ مع معلولها فحيثما وُجِدَ هذا النوع من التبَرُّك بالقبور أو الأشجار أو الأحجار أو العيون التي ينوطون بها حاجاتِهم وُجِدَ النكيرُ على أصحابه، وعلى هذه الجادَّةِ مشَى كوكبة من الأعلام في الاستدلال بهذا النص نذكر أقوالهم على النحو التالي:

- قال الإمام أبو بكر الطُّرْطُوشِيُّ: انظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظِّمونها، ويرجون البُرْءَ والشفاء من قِبَلِها، ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذاتُ أنواطٍ فاقطعوها[٢].

- وقال الحافظ أبو شامة: ومن هذا القسم أيضًا ما قد عَمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة من كل بلد يَحكِي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهِرَ بالصلاح

(١) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب لتركبن سنن من كان قبلكم، (٢١٨٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢١٨٠).
(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (١ / ٢١١).

والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائضَ الله وسننَه، ويظنون أنهم متقرِّبون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظِّمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنَّذْر لها، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر[1].

ـ وقال العلامة ابنُ القيم: فإذا كان اتخاذُ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعُكوف حولها اتخاذَ إلهٍ مع الله تعالى مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها فما الظنُّ بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده؟ فأيُّ نسبةٍ للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون! ...

ومَن له خبرةٌ بما بعَثَ الله تعالى به رسولَه وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علِمَ أن بين السَّلَف وبين هؤلاء الخلوف من البُعد أبعدَ مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء والسَّلَفَ على شيءٍ كما قيل:

سارَتْ مشرِّقَةً وسرتُ مغرِّبًا ... شتانَ بينَ مُشَرِّقٍ ومغرِّبِ[2]

وهكذا نجد أنَّ مَن تأمَّل سيرة السلف التي تعكس التربية الصحيحة رأى البَوْن الشاسع بينهم وبين من لم يُبالِ بمَوَاطِنِ الرِّيبة غرورًا بنفسه؛

---

(١) الحوادث والبدع، ثم ذكر ما صنعه بعضُ أهل العلم ببلاد إفريقية بهدم عين وقت السَّحَر ـ تسمى عين العافية ـ فُتن بها العوام؛ فمن تعذَّر عليه نكاح أو ولد مضى إليها، وهدمها وأذَّن للصبح عليها ثم قال: "اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسًا".

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (١ / ٢٠٥).

فأقام المشاهد والقباب والتوابيت والزيارات، وأدام العكوف عند ساكنيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثًا: موقف الصحابة من التبرُّك بشجرة الحُدَيْبِيَة:

لقد شهدت شجرةٌ بالحُدَيْبِيَة بيعة الرضوان، ذكرها القرآن قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]، وكان الصحابة يعرفونها حين يمرُّون بها في طريقهم للحج، وقد خُفيت هذه الشجرة بعد ذلك، ووصف ابن عمر رضي الله عنهما حادثة خفاءها بقوله: (كانت رحمةً من الله)، قال الحافظ ابنُ حجر: (وبيان الحكمة في ذَلِك وهو أَن لا يحصل بِهَا افتتان لِما وَقع تحتها مِن الخير، فَلو بَقِيت لَما أُمِنَ تعظِيم بعض الجهال لَها حتى ربما أَفضى بِهِم إلى اعتِقَاد أَن لَها قوةَ نفعٍ أَو ضُرٍّ كما نراه الآن مُشَاهَدًا فِيمَا هو دونها)[1].

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال: (رَجَعْنَا مِنَ العَامِ المُقْبِلِ فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعْنَا تَحْتَهَا، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ)[2].

وروى البخاري أيضًا عن طَارِقِ بن عبد الرحمن قال: (انْطَلَقْتُ حَاجًّا، فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ، قُلْتُ: مَا هَذَا المَسْجِدُ؟ قَالُوا: هَذِهِ الشَّجَرَةُ، حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ، فضحك فقال:

(١) فتح الباري لابن حجر (٩ / ١٣٦).
(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب بَابُ البَيْعَةِ فِي الحَرْبِ أَنْ لاَ يَفِرُّوا، (٢٩٥٨).

حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ العَامِ المُقْبِلِ نَسِينَاهَا، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا، وفي رواية: فعميت علينا.

فَقَالَ سَعِيدٌ: (إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ؟! فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ!)[1].

قطعها:

وقد وردت بعض الروايات التي تفيد أن عمر ﷺ أمر بقطعها؛ منها ما رواه ابنُ سعد في الطبقات الكبرى قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ الشَّجَرَةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الرِّضْوَانِ فَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَأَوْعَدَهُمْ فِيهَا وَأَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ.

قال الحافظ في فتح الباري: "إِسْنَاده صَحِيح" ا.هـ[2].

ورواه ابنُ أبي شيبة في المصنَّف: قال حدثنا معاذ بن معاذ قال: ثنا ابن عون عن نافع قال: بلغ عمرَ بن الخطاب أن ناسًا يأتون الشجرة التي بُويع تحتها. قال: فأمر بها فقُطعت، ورجاله رجال الصحيح[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحُدَيْبِيَة، (٤١٦٣).

(٢) انظر الطبقات الكبرى (٢ / ١٠٠)، فتح الباري (١١/ ٤٩٠).

(٣) مُصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥). وبهذا يتبين ما في الرواية المعضلة عند الفاكهي في أخبار مكة (٧ / ٤٣٤) قال: حدثنا حسين بن حسن المروزي قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: ثنا ابن عون قال: "بلغ عمر ﷺ أن الشجرة التي بويع عندها تؤتى، فأوعد في ذلك وأمر بها فقُطعت" .

قال الألباني: فلعلَّ الواسطة بينهما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ولكنه أشار إلى ضَعْفِ الرواية لهذا الانقطاع[١].

قلتُ: وفي الطبقات الكبرى لابن سعدٍ ما يشير إلى الجمع بين روايتَيْ قطع الشجرة وخفائها، فعن نافع قال: خرَج قوم من أصحاب رسول الله ﷺ بعد ذلك بأعوام، فما عرَفَ أحدٌ منهم الشجرة، واختلفوا فيها؛ قال ابن عمر: كانت رحمة من الله[٢].

فالتعبير بالأعوام هنا يجمع بين الروايتين، حيث لا يبعُد أن القطع كان أولًا فخفيت، والله أعلم.

ومن عَجَبٍ في هذا المقام استغلالُ بعض الشيعة هذا الخبر للنيل من عمر بن الخطاب ﷺ، والغَمْزِ في الحطِّ من فضله؛ لأن هذا الخبر يتنافى مع دعوتهم لتعظيم المشاهد والصلاة عندها، والتبَرُّك بترابها، وظنُّوا أن ذاك قدح، وإنما هو مدح، وتفرَّدوا بزيادةٍ زعموا أن عمر ﷺ قال: (أراكم أيها الناس رجَعتم إلى العُزَّى، ألا لا أوتى منذ اليوم بأحدٍ عاد لمثلها إلا قتلتُه بالسيف كما يُقتل المرتدُّ، ثم أمر بها فقُطعت)[٣].

وتلك شَكَاةٌ ظاهِرٌ عن أمير المؤمنين عمر ﷺ عارُها، وصدَق مَن قال:

عيَّرتْني بالشَّيْبِ وهو وقار ... ليتها عيَّرَتْ بما هو عَارُ

(١) تحذير الساجد للألباني (ص: ١١٢).
(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٠٥).
(٣) انظر هذا في شرح نهج البلاغة (١/ ٥٩، ٦٠)، وشرحه لابن أبي الحديد (٣/ ١٢٢).

وبهذا يتبيَّنُ لنا حَسْمُ مادة الشر الداخلة من بوابة التبَرُّك المنحرف، وما أجمل ما قاله ابنُ القيِّم في كلامه القيِّم ونصُّه: فإذا كان هذا فعلَ عمر ﷺ بالشجرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن، وبايع تحتها الصحابةُ رسولَ الله ﷺ؛ فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان التي قد عظمت الفتنة بها واشتدت البلية بها؟!.

وأبلغ من ذلك: أنَّ رسول الله ﷺ هدَم مسجد الضِّرار؛ ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فسادًا منه كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها: أن تُهدَمَ كلُّها حتى تُسوَّى بالأرض وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار، وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها؛ لأنها أُسِّست على معصية الرسول؛ لأنه قد نَهَى عن البناء على القبور كما تقدم، فبناءٌ أُسِّس على معصيته ومخافته بناءٌ غير محرم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصِب قطعًا[1].

رابعًا: تصدِّي الفقهاء للغالطين في التبَرُّك:

إن تحذير الأمة من التبَرُّك المنحرف قطْعٌ للشرك ومادته، وقد صاغ فقهاء الإسلام هذه التعاليم في متون الأحكام، وشروحها، وزادوا الحواشيَ عليها، والفروع والفتاوى مما تُغني شهرتُه عن التفصيل فيه، ونعطِّر المقام بشواهد يُستدَلُّ بها على غيرها.

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٢١٠).

فالشافعيُّ رحمه الله يجيب عَنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَيْتِ مَهْجُورًا! بِأَنَّا لَمْ نَدَّعِ اسْتِلَامَهُمَا هَجْرًا للبيت، وَكَيْفَ يَهْجُرُهُ وَهُوَ يَطُوفُ بِهِ وَلَكِنَّا نَتَّبِعُ السُّنَّةَ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا وَلَوْ كَانَ تَرْكُ استلامهما هجرا لَهما لَكَانَ تَرْكُ اسْتِلَامِ مَا بَيْنَ الْأَرْكَانِ هَجْرًا لَهَا وَلَا قَائِلَ بِهِ [1].

وما أجملَ عبارةَ الشافعيِّ (وَلَكِنَّا نَتَّبِعُ السُّنَّةَ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا)، ومن أصحابه الفقيهُ أبو موسى القائل: (وَلَا يَمْسَحُ الْقَبْرَ وَلَا يَمَسُّهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَادَةُ النَّصَارَى).

قال النووي: (وَمَا ذَكَرَهُ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ النَّهْيُ عَنْ تَعْظِيمِ الْقُبُورِ وَلِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُسْتَحَبَّ اسْتِلَامُ الرُّكْنَيْنِ الشَّامِيَّيْنِ مِنْ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ لِكَوْنِهِ لَمْ يُسَنَّ مَعَ اسْتِحْبَابِ اسْتِلَامِ الرُّكْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ فَلَأَنْ لَا يُسْتَحَبَّ مَسُّ الْقُبُورِ أولي، والله أعلم)[2].

ومن أصحاب الشافعيِّ أيضًا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ القائل بتحريم شدِّ الرِّحال إلى غير المساجد الثلاثة عملًا بظاهر حديث: (لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...)[3] فيحرم شد الرحال لزيارة القبور، وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرُّك بها والصلاة فيها.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣ / ٤٧٤). وذكر الحافظ رواية ابن عباس أنه طاف مع معاوية فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَيْتِ مَهْجُورًا، فَقَالَ لَهُ ابن عَبَّاس: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: صَدَقْتَ. ولله در عمر في قوله وهو يُقبِّل الحجَر الأسود: "إنك حجَر لاَ تَضُرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك".

(٢) شرح المهذب للنووي (٥ / ٣١١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

وَأَشَارَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، قال الحافظُ ابنُ حجر: (وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ مِنْ إِنْكَارِ بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ خُرُوجَهُ إِلَى الطُّورِ وَقَالَ لَهُ لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مَا خَرَجْتُ وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَرَى حَمْلَ الْحَدِيثِ عَلَى عُمُومِهِ وَوَافَقَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ)[1].

وبالجملة فيتضح مما سبق أهميةُ الفرقان بين التبَرُّك المشروع والتبَرُّك المنحرف الذي يُفضي إلى الإشراك، ومن سوَّى بينهما فقد نادى على نفسه بالجهالة، ورعَى حول حِمَى الشِّرك فيوشك أن يقع فيه.

فالقرآن حذَّر من اقتفاء سبيل أهل الغَلَبة من الجهَلة بشرع الله في تعظيم قبور أصحاب الكهف، وأوضحت السنةُ خطورة اتخاذ القبور مساجدَ أتمَّ إيضاحٍ.

كما أوضحت السُّنة خطأ أنَّ أهل الجاهلية كانوا يتبرَّكون بسدرةٍ، وضلوا في ثلاثة أمور هي: التعظيم والعُكوف والتبَرُّك، وبهذه الأمور الثلاثة يُعبد أصحاب القبور، وتُعظَّم الأشجار والأحجار والآبار، فمن طلب البَرَكَة فمَثَلُه كمَثَلِ بني إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا، فأقسم ﷺ أن مقالةَ هؤلاءِ كمقالةِ أولئك سواءً بسواءٍ.

فالقبور والأشجار والأحجار والعيون ونحوها مما يَنذُر لها العامَّةُ، و يعلِّقون بها خِرَقًا، ويأخذون منها شيئا تبَرُّكا، ويرجون قضاء حوائجهم وشفاءَ مرضاهم، ويتمسَّحون بها، هو من عمل أهل الجاهلية ومن أسباب الشرك بالله.

(١) فتح الباري لابن حجر (٣ / ٦٥).

خامسًا: دمعةٌ على التبَرُّك:

ومَن نَظَر إلى ما أصاب المسلمين في بلادٍ شتَّى من رواج هذا التبَرُّك المنحرف لا يستطيع أن يُغالِبَ الأسى، ويدفع البكاء من جراء المهالك التي يتعاطاها الجهَلَةُ، فما أسرَعَهم إلى الإتيان إليها سعيًا حثيثًا، ثم يُفيضون منها، بعدما علَّقوا عليها الحاجات، وعقَدوا عليها الآمال.

ومما هالني الوقوفُ عليه مما نحن بصدده ما اختُصَّتْ به بلادُ حَضْرَمَوْتَ مثلًا مما طفَحَتِ الكتب بذكره، مِن تعظيم المَشاهد والزيارات والأودية التي شهدت خلوات أقطاب الطريقة، وتراب القبور، والعيون، وآثار الموتى وغير ذلك مما يعلقونه على التبَرُّك.

وتُفْرَدُ فصولٌ من هذه الكتب في ذكر شعاب تريم، وأوديتها، وتربها، ومساجدها، ومقابرها المشهورة بالبَرَكَة كما يزعمون، ويقول القائل:

تريم بها منهم ألوفٌ عديدةٌ ... بساحة بشار شموس الهُدى قل

زيارة كل منهم صَحَّ أنها ... لما شئتَ مِن نفعٍ وجلب محصل

وإن قيل ترياق ببغداد جُربا ... ففي ريع بشار شِفا كلِّ معضل

ويُفرِدون فصلًا فيما يتعلق بفضل وبركة الجموعات العامة عند قبور الأولياء المشهورين، وقراء المولد عند ضرائحهم، وما الحديث عن زيارة قبر النبي هود عليه السلام المزعوم بحَضْرَمَوْتَ بالحديث المُرَجَّم، وإنما أشرنا إلى

هذا حتى لا تصير المعالم مُعطَّلةً من ذكر الشواهد، ويكون المقام خِلْوًا من الفوائد، وليس مقصودنا الاسترسال[١].

فيا ليت هؤلاء القوم يعلمون بما جرَّه التبَرُّكُ المنحرف على التوحيد، ويَفِيئون إلى الحق، فإنَّ للحقِّ نورًا يُعرف به، وعسى القيود التي وضعها الغالبون في أعناق الأتباع قد وهَنت، فيسهل حلُّها، وينطلقون بعدها إلى رحاب السنة كما قال كثيِّر:

فليتَ قلوصي عندَ عزَّةَ قيِّدتْ بحبلٍ ضعيفٍ غرَّ منها فنفَّتِ

ولابد إذن من بيان سبيل المنحرفين في التبَرُّك حتى تَستبينَ لكل أحد، كما شدَّ رسول الله في النكير على بعض مسلمة الفتح مع أنهم كانوا معه قبل حنين، إذ إن توحيد الكلمة إنما يكون على كلمة التوحيد، وغضُّ الطَّرْف عن الانحراف يجعله يتسلل لِوَاذًا إلى أفراد المجتمع.

واللهَ نسألُ أن يُرِيَنا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرِيَنا الباطلَ باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

(١) تُطلب هذه الفصول من: المشرع الروي والنور السافر والفوائد السنية وغيرها من تراث التصوف بحضرموت.

أهمُّ مستنداتِ الفرق في التبَرُّك الممنوع والجواب عنها عقلًا ونقلا

مُحمَّد فريد

ما لحِقَ نبيُّنا ﷺ بالرفيق الأعلى حتى تركَنا على البيضاء لا يَزِيغُ عنها إلا هالكٌ.

ولم تكن تلك البيضاءُ سوى القرآن الكريم، والسُّنة الصحيحة.

فآثر قومٌ اتباع الأمم السابقة في المغالاة المَقِيتة التي يخرجون بها عن وَسَطية العقيدة الإسلامية.

ولكنَّ الله، بعظيم رحمته، لا يزال يَغْرِسُ في هذا الدِّين غرسًا؛ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولَهُ؛ يستخدمهم في طاعته، ويستعملهم في الدعوة لدينه، والذبِّ عن شرعه؛ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ.

نسأله تعالى بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا أن يجعلنا برحمته من هذا الغرس الطيب المبارك مخلِصين له الدِّين. آمين يا أرحم الراحمين.

وقضية "التبَرُّك" كغيرها من القضايا التي ابتدع المغالون فيها كثيرًا من الصور غير المشروعة.

وأما مستنداتهم في هذا "التبَرُّك غير المشروع" فمع كثرتها لم تخرج عن ستة أنواع؛ نستعين بالله على اختصارها، والجواب عليها.

أولاً ـ نصوص بلا أسانيد:

وهذا نوع لا يُلتَفت إليه أصلًا، ورحِم الله ابْنَ الْمُبَارَكِ؛ إذ يَقُولُ: "لَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ كُلُّ مَنْ شَاءَ كُلَّ مَا شَاءَ"[١].

فلو سمِعنا لكلِّ أحدٍ ينقل عن الرسول ﷺ؛ إذن لصدَّقْنا كلَّ مبتدع فيما يختلقه من نصوص تأييدًا لبدعته.

ثانيًا ـ نصوصٌ موضوعة:

ومثال ذلك: استنادُهم على جواز التبَرُّك بآثار الصالحين بالحديث الذي يُروَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! الْوُضُوءُ مِنْ جَرِّ جَدِيدٍ مُخَمَّرٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ مِنَ الْمَطَاهِرِ؟

فَقَالَ: لَا، بَلْ مِنَ الْمَطَاهِرِ، إِنَّ دِينَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ.

قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبْعَثُ إِلَى الْمَطَاهِرِ، فَيُؤْتَى بِالْمَاءِ، فَيَشْرَبُهُ، يَرْجُو بَرَكَةَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ)[٢].

وهذا الحديثُ [موضوعٌ] أنكره أبو عَرُوبة[٣] وابنُ عدي[٤]، وابنُ حبَّان[٥]، والعراقي[٦]، والشوكاني[٧]، والمعلمي اليماني[٨] وغيرهم.

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (١/ ٢٠٩).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٩٤)، وغيره.
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٢٥٧).
(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٢٦١).
(٥) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٢٨).
(٦) تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٦٩٠).
(٧) الفوائد المجموعة (١/ ١٢).
(٨) الفوائد المجموعة (١/ ١٢).

وهو حديثٌ اتفقتْ كلمةُ أهل الحديث سلفًا وخلفًا على نكارته، وسقوط الاحتجاج به.

ثالثًا ـ استدلالٌ باطلٌ بأدلةٍ صحيحة:

وذلك بأن يهجموا على الحديث الصحيح، فينتزعوا منه تأويلًا متعسفًا لا يؤيده نص، ولا تقبله لغة، ولا يرضاه منطق، ولا تَستَسِيغه فطرة.

فمن ذلك موقفُهم من التبَرُّك بآثار الصالحين، وثيابهم، وفضلاتهم، استنادًا لما فعله الصحابةُ ﷺ مع النبي ﷺ.

أما فعلُ الصحابةِ ﷺ مع النبي ﷺ فلن نذكر منه شيئًا؛ إذ هو موضع اتفاق، لا خلاف عليه بين الأمة سلفًا وخلفًا؛ إذ أجمعوا على مشروعية التبَرُّك بمتعلقات النبي ﷺ حيًا وميتًا، وقد وردت في ذلك النصوص الصحيحة.

أما الإنكار فعلى قياس التبَرُّك بآثار الصالحين على تبَرُّك الصحابة به ﷺ، فمن ذلك: قول النووي: "فيه التَّبَرُّك بِآثَارِ الصَّالِحِينَ"[1].

وقال النووي أيضًا: "فِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الصَّالِحِينَ وَاسْتِعْمَالِ فَضْلِ طَهُورِهِمْ وَطَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ"[2].

إلا أن القوم قد بالغوا في التبَرُّك بآثار غيرِ النبيِّ ﷺ مبالغةً فَجَّةً.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ٢٤٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢١٩).

فمن ذلك ما حكاه الشاطبي: "وَلَقَدْ حَكَى الْفَرْغَانِيُّ مُذَيِّلُ" تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ "عَنِ الْحَلَّاجِ: أَنَّ أَصْحَابَهُ بَالَغُوا فِي التَّبَرُّكِ بِهِ، حَتَّى كَانُوا يَتَمَسَّحُونَ بِبَوْلِهِ، وَيَتَبَخَّرُونَ بِعَذِرَتِهِ!. حَتَّى ادَّعَوْا فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا"(١).

وهذا استدلال باطلٌ شرعًا وعقلًا.

أمَّا شرعًا؛ فلأنه لم يَرِد في الكتاب ولا السُّنة ما يبيح ذلك. كما لم يفعله الصحابةُ مع أحدٍ بعده ﷺ؛ مع وجود المبشَّرينَ بالجنة، وعلى رأسهم الشيخانِ، وسيدا شباب أهل الجنة، وغيرُهم كثيرًا.

وقال الشاطبي مبيِّنًا خطأ القوم: "لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَهُ فِي الْأُمَّةِ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَلَا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، فَهُما كَانَا خَلِيفَتَيْنِ، وَلَمْ يُفْعَلْ بِهِما، ولا بغيرهما شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. بَلِ اقْتَصَرُوا فِيهِمْ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِالْأَفْعَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالسِّيَرِ الَّتِي اتَّبَعُوا فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ فَهُوَ إِذًا إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ عَلَى تَرْكِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا"(٢).

وأما رَدُّ ذلك عقلًا؛ فلأمور منطقية:

أهمها أنه لا يَعلم ما سيُختَم به للعبد إلا الله ﷻ. فقد يكون العبدُ على طريقةٍ حسَنةٍ من العبادة، ثم لا يلبث أن ينقَلِبَ على عقبَيْه قبل موته عياذًا بالله.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٨٤).
(٢) الاعتصام، للشاطبي (١/ ٤٨٢) بتصرف.

أو: أن يكون في ظاهره الصلاحُ، بينما هو يعمل طلبًا للدنيا؛ من المال، والرِّياء، والسُّمْعة عياذًا بالله، ولا يَعلم حقيقةَ نية العبد إلا هو وَحْدَه لا شريك له.

فقد يُعجب الناس برجل، ويظنون أنه في أعلى عِلِّيين، بينما هو في أسفل سافلين عياذًا بالله.

وقد حدث هذا مع الصحابة ﷺ، كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ قَالَ: (افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ، وَالإِبِلَ، وَالمَتَاعَ، وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ[1]، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ.

فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ!.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَلْ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا.

فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: شِرَاكٌ - أَوْ شِرَاكَانِ - مِنْ نَارٍ)[2].

(١) عائر: لا يُعلم مَن رماه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (٤٢٣٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الغُلُولِ، (١١٥).

فهذا رجل نالَ شرف عدة أمور:

١/ شرف الإسلام.

٢/ شرف الصُّحْبة للنبي ﷺ.

٣/ شرف خدمة النبي ﷺ.

٤/ شرف الجهاد في سبيل الله تعالى.

٥/ شرف الشهادة في سبيل الله تعالى.

ومع كل هذا لم يشفع له شيءٌ من ذلك في معافاته من العذاب؛ بسبب خيانته، وسرقته للعباءة من الغنائم قبل أن توزع.

فقارن بين حكم الصحابة ﷺ على الرجل؛ إذ قالوا بما علموا: "هنيئًا له الجنة!".

وإعلان النبي ﷺ لحكم الله عليه إذ أُوحي إليه: "أنه في النار". عياذًا بالله!.

وليعلمنا ربُّنا بذلك عدة أمور:

منها: أننا لا يجوز أن نحكم على أحد حكمًا جازمًا؛ لأن العالِمَ بعباده على الحقيقة هو خالقهم وحده لا شريك له!

فإذا كان ذلك كذلك: فلا يجوز لنا أن نتبرك بأحد على نحو ما فعل الصحابة ﷺ برسول الله ﷺ من التبَرُّك بمتعلقاته ﷺ.

أولًا/ لعدم ورود الدليل على ذلك، ولعدم فعل الصحابة هذا بأحد من المشهود لهم بالجنة.

ثانيًا / لعدم معرفة حقيقة العباد عند الله، طبعًا هذا خلاف التبَرُّك الجائز بالصالحين من خلال مجالستهم، والأخذ من علمهم، وصحبتهم، والاقتداء بهم، إلى غير ذلك من أنواع التبَرُّك المشروع الوارد في الكتاب، والسنة.

رابعًا ـ استدلال بالمُدرَج الموضوع على الدليل الصحيح:

ومثال ذلك ما فعله الخازن إذ أورد في تفسيره أثرًا عن أبي أيوب، ثم عقَّب قائلًا: "رواه الترمذي، وقال: حديث غريب صحيح، مات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية، ودُفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره، ويستسقون به" (١).

فانظر فِعْلَ الخازن حيث أضاف من عنده لفظًا مُدرَجًا لا سند له ألبتة، وهو قوله: "فهم يتبرَّكون بقبره، ويستسقون به".

خامسًا ـ الاستدلال بأقوال وأفعال من لا حُجَّة في قولهم وفعلهم:

ومن ذلك ادعاؤهم أن الشافعيَّ غسَلَ قميص أحمد، وتبرَّك به(٢).

وهذا باطلٌ من وجوه، منها:

---

(١) تفسير لباب التأويل، (١/ ١٢٣).

(٢) منازل الأئمة الأربعة (١/ ٢٥٤)، تاريخ دمشق (٥/ ٣١١)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٣٥: ٣٦)، مرآة الجنان (٢/ ١٠٠).

أولًا/ فعل الشافعي -رحمه الله- ليس بحُجَّةٍ، ولو فعل ذلك لما كان دليلًا على مشروعية الفعل، ولكان مخطئًا فيه.

ثانيًا/ الشافعي -رحمه الله- بريءٌ من هذا الأثر براءةَ الذئب من دم ابنِ يعقوب؛ إذ كذَّبَ هذا الأثرَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية[١]، والذهبيُّ[٢].

سادسًا- الاستدلال بالكلام المُرْسَل:

وذلك بإطلاق أحكامٍ بلا دليل.

فمن ذلك: ما قاله الحافظ العراقي: "وَأما تَقْبِيل الْأَمَاكِن الشَّرِيفَة على قصد التَّبَرُّك، وَكَذَلِكَ تَقْبِيل أَيدي الصَّالِحين وأرجلهم فَهُوَ حسن مَحْمُود بِاعْتِبَار الْقَصْد وَالنِّيَّة"[٣].

وليس في الكلام مستند نُجيب عليه؛ إذ لا حجة في قول أحد بعده ﷺ، وصدَقَ الله إذ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ومع ذلك فهو مناقض لما جاءت به الأدلة الصحيحة.

كما جاء عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ قَالَ: انْطَلَقْتُ حَاجًّا، فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ!

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٤).
(٢) سِيَر أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨٧).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي (٩/ ٢٤١).

قُلْتُ: مَا هَذَا الْمَسْجِدُ؟

قَالُوا: هَذِهِ الشَّجَرَةُ، حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ.

فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ.

فَقَالَ سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي أَبِي: "أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا.

فَقَالَ سَعِيدٌ: إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَعْلَمُوهَا، وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ؟! فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ!)[1].

قال ابنُ حَجَر: "قَالَ سَعِيدٌ هَذَا الْكَلَامَ مُنْكِرًا. وَقَوْلُهُ: "فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ" هُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ. وَفِي رِوَايَةِ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ: "إِنَّ أَقَاوِيلَ النَّاسِ كَثِيرَةٌ"[2].

بمعنى: أن شجرة الحُدَيْبِيَة لم يعظمها الصحابة الذين يعرفون قدرها، وبايعوا تحتها، وقد نسُوها تمامًا.

وأما قول نافع: "بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنَّ نَاسًا يَأْتُونَ الشَّجَرَةَ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا، قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ)[3].

فالصحابة ﷺ قد نسُوا الشجرة كما قال سعيد بن المسيب ﷺ في الأثر الصحيح، ولكن الشيطان أوْهَمَ قومًا بشجرة أنها شجرة البيعة، ولكن

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحُدَيْبِيَة، (٤١٦٣).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٤٧).
(٣) [صحيح] رواه ابن أبي شيبة (٧٥٤٥)، وابن سعد (٢/ ١٠٠).

عمر ﷺ قد قطعها حفاظًا على جناب التوحيد بمنع الناس من التبَرُّك بالصلاة تحتها.

سابعًا ـ الاستدلال بمستندات جَدَلِيَّةٍ لا فقه فيها ولا عقل:

ومن ذلك قولهم: "مِن أدلة جواز التبَرُّك عدمُ وجود دليلٍ مانعٍ من ذلك، وعدم اعتبار التبَرُّك مُندرِجًا تحت اسم العبادة ..." [1].

نقول بحمد الله: أما قوله: "عدم وجود دليل مانع من ذلك" !

فالأصل في العبادة التوقُّف. بمعنى أن الذي يأمر الناسَ بعبادة هو المُطالَب بالدليل الصحيح على ثبوت هذه العبادة، وليس النافي لها هو المطالَب بدليل نفي جواز التعبد بذلك.

أما قوله: "عدم اعتبار التبَرُّك مندرجًا تحت اسم العبادة" ، فهذا جهل تام، وذلك أن التبَرُّك: يشتمل طلب المنفعة، ودفع المضرة، وطلب النفع، ودفع الضُّرِّ صلب العبادة، فمن ادعاهما لغير الله فقد عبده من دون الله عياذًا بالله.

وقد أخبر الحقُّ ﷻ عن ذلك بمواضع كثيرة من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ

(١) راجع: (٥٢ سؤال وجواب في المسائل التي تنشرها الوهابية). من موقع د. محمود صبيح.

أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

وبعدُ ... فهذه إطلالةٌ سريعة على مجمل مستندات القوم في تبَرُّكهم غير المشروع، مع الاستعانة بالله على الجواب عليها شرعًا وعقلًا.

واللهَ نسألُ بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا أن يردَّنا للحق ردًّا جميلًا، فهو وليُّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد ألا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

التبَرُّكُ في ميزان الشريعة

ندوة عن "البَرَكة في الشريعة" شارَكَ فيها كلٌّ من:

الدكتور عمر بن عبد العزيز

(رئيس قسم مقارنة الأديان بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر)

الدكتور عامر الباسل

(أستاذ الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر)

الدكتور محمد إمام

(رئيس مجلس أمناء السلفية، وأستاذ السياسة الشرعية بجامعة الأزهر)

الدكتور محمد عبد المنعم البري

(أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر)

أدار الندوة: عبدالرحمن أبوعوف

يُعدُّ تبيينُ حقائق الديانة وكشف الشبهات عنها من واجبات العصر وفروض العين على علماء الأمة، وذلك لتجلية غموض عددٍ من القضايا الإسلامية التي شابَها نوع من الغموض واللَّغَط، ومن المسائل التي عانت من الارتباك وخلط الأوراق مسألة "التبَرُّك"، فقد غالى فيها أقوام فجعلوا ما لا يصح التبَرُّك به في رتبة المشروع جهلًا واتباعًا للهوى، وجفا آخرون فلم يعترفوا بهذا المعنى وضاع الحق بين غُلوِّ أولئك وجفاءِ هؤلاء.

ولتجلية هذا الغموض والوصول إلى كلمةٍ سواءٍ في المسألة سعينا لاستطلاع رأي كوكبة من علماء الإسلام في ندوة عُقدت حول المفهوم الإيجابي للتبَرُّك ووسائل تفعيله في حياة المسلم، والعروج إلى المفهوم المنحرف لهذه المسألة، وإلقاء الضوء على واقع الأمة في مسألة التبَرُّك، ومحاولة إيجاد معالجات شرعية معاصرة للمفهوم الصحيح للتبَرُّك، وكذلك المفهوم المنحرف للتبَرُّك، وهو ما سنعرضه بالتفصيل في السطور الآتية.

في البداية يحاول الدكتور عمر بن عبد العزيز تأصيلَ الأمر من الزاوية الشرعية عبر التأكيد أن القرآن الكريم ذَكَرَ كلمة التبَرُّك في مواضع عديدة، حين وصف المسجد الحرام بالبَرَكَة بقوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران: ٩٦ - ٩٨]، وهو ما تكرر فيما يتعلق بالمسجد الأقصى بالبَرَكَة هو ومن حوله ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الإسراء: ١]، ولا يبارك حوله إلا ما حفته البَرَكَة وفاضت.

وطالتِ البَرَكَةُ كذلك نفرًا كبيرًا من الأنبياء ومنهم المسيح ابن مريم حين كان أولَ من نطق في المهد ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا

﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

[مريم: ٣٠ - ٣١].

وقد وصف الله ﷻ كتابه الكريم بالبركة، فقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وذُكرت البَرَكَة في ماء السماء ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]، وكذلك حازت بقاع جغرافية بعينها على البَرَكَة مثل ما قاله الله في سورة الأنبياء: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١]، وهنا المقصود بلاد الشام وما حولها.

تبرُّك مشروع:

وفي هذا المقام - والكلام مازال لرئيس قسم الأديان - يصعُب علينا إنكارُ أن البَرَكَة موجودةٌ في كل زمان ومكان، ومن ثَمَّ فلا يجب إغلاقُ هذا الباب بشكل كُلِّيٍّ بحجة أن هناك مَن أساء إليه أو استعمله في غير المنظور الشرعي المحدَّد لخطاه، بل علينا معرفة المشروع منه والممنوع والصحيح والخطأ، فمثلًا حديث رسولنا الكريم: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)[1] تُثبت هذا المنهج.

ونحن نتبرك من المسجد بزيارة المسجد الحرام حَجًّا وعُمرةً واعتكافًا

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب أبواب التطوع فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١١٣٢)، ومسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، (٣٤٥٠).

وصلاةً وطوافًا وتقبيلًا للحجر الأسود، والشرب من ماء زمزم، وكل هذا نوع من أنواع التبَرُّك المشروع الذي دلت عليه الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة، فمثلًا الصلاة في المسجد الحرام بأكثر من مائة ألف صلاة فيما عداه[1]، وكذلك بركة تتكرر في المسجد النبوي بألف صلاة فيما عداه[2]، حيث نصلي ونتعبد ونزور قبر النبي ﷺ، ونسلِّم عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

غير أن هذه البَرَكَة لا يجب أن تدفعَنا إلى الوقوع في مخالفات والخروج على إجماع الأمة، حيث يُشرعُ أن تُشدَّ الرِّحال إلى المسجد الأقصى، ولكننا لا نزوره وهو تحت الاحتلال ووطأة الصهاينة المعتدين عليه، إنما علينا أن نتبارك به بتطهيره من دنسهم، ونحن نتبارك بالمساجد الأخرى بعمارتها والصلاة والاعتكاف: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

والتبَرُّك كذلك، كما يؤكد د.عبد العزيز، بالأنبياء وذلك بالاقتداء والتأسِّي بهم كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ونتبرك به ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وهذا

(١) مسند أحمد برقم (١٥٢٧١)، ط الرسالة، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.
(٢) السابق نفسه.

التبَرُّك يكون باتباع تعاليمه والاقتداء بسنته مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

التبرُّك بالصَّالحين:

بل إن التبَرُّك بالأولياء - ورغم كل ما يُثار حوله - يمكن أن يسير في إطار كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، حيث يمكن بأن نتبرك بالأولياء تشبُّهًا وتأسِّيًا، فهم من خير خلق الله بعد الأنبياء ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، ولا نقصد هنا إمكانية الوصول بهم لمرحلة العِصْمة فهم ليسوا معصومين؛ فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذنِ الله، بل إن التأسِّي بهم يأتي من باب

فَتَشَبَّهوا إن لَم تَكُونوا مِثلَهُم ... إنَّ التشبُّه بالرِّجال فلاحُ

ومع هذا - وحسب تأكيدات د.عبد العزيز - فإن هذا التبَرُّك بالأولياء لا يكون تمسُّحًا بالأبواب، ولا سجودًا على الأعتاب، ولا تبَرُّكا بالأخشاب، ولا تمسحًا بالتوابيت، ولا طوافًا بالأضرحة، ولا نذرًا بالصناديق، على نحو ما يفعله العامَّةُ والدَّهماء والبسطاء، فيما لا تجد عليه دليلًا من كتابٍ أو سنةٍ أو إجماعِ أئمةٍ ولا اجتهاد علماء، فهذا

تعسُّف في التأويل وخطأ في التدليل، وليس من جنس التبَرُّك الصحيح في شيء.

فالتبَرُّك بالعلماء مثلًا بطلب الدعاء منهم، وتلقِّي العلم بين يديهم، وبحضور مجالسهم التي تعد روضة من رياض الجنة، والتزاحم عند مناكبهم، والاقتداء بسلوكياتهم الطيبة، أو حتى بزياراتهم للاستزادة من علمهم، طبقًا لتعاليم الله وسنة رسول الله ﷺ وعمل السلف الصالح باجتهاد العلماء.

وأطلق رئيس قسم الأديان في نهاية إيجازه طلقةَ تحذيرٍ بالإشارة إلى أن باب التبَرُّك ليس مفتوحًا على مصراعيه، ولكنه محصور في أوجه معينة، لاسيَّما أن التوسع في هذا الأمر دون ضوابط قد يوصل الإنسان إلى الشرك والعياذ بالله؛ فيعبد غيرَ الله باسم التبَرُّك وكم عُبِدَ أولياء باسم التبَرُّك، فالركوع عبادة، والسجود عبادة، والطواف عبادة، والدعاء عبادة، هذه أمثلة من العبادات التي يُتوجَّهُ بها إلى الله، ولا يُتوجَّهُ بها إلى غيره باسم التوسل أو التبَرُّك والتشفُّع أو بالدعاء وهذا هو التبَرُّك المحمود.

أما باب التبَرُّك المذموم فنحن أمام بابِ شرٍّ فُتح على الأمة حتى وقع الناس في الشرك؛ صغيره وكبيره، ونحن في هذا الدين مقيَّدُون بالدليل من غير تعسف ولا وضع للكلام في غير موضعه، وما نتحدث عنه هو تبَرُّك مذموم، ونحن في هذا المقام مرتبطون بالدليل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

إن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[البقرة: ١١١].

أصل شرعي:

إذا كان الدكتور عمر بن عبد العزيز قد حاول تأصيل التبَرُّك كمفهوم، وتطرَّق إلى خطورة سيطرة التبَرُّك المذموم، واعتبره بابًا للشر فُتح على الأمة؛ فإن الدكتور عامر الباسل -أستاذ الأديان والمذاهب بجامعة الأزهر- قد سار على نفس الدرب، وإن استشهد بأحاديثَ وأحداثٍ في العصر النبوي وعصور التابعين وتابعي التابعين، بإشارته إلى أن التبَرُّك أصلٌ من الأصول المنصوص عليه في ديننا الحنيف، والتي فُهمت خطأ بعيدًا عن كليات هذا الدين.

فذكر أن القرآن الكريم كتاب مبارك، وذكر عن بقاعٍ من الأرض أنها أودية مباركة، وذُكر كثيرٌ من هذا اللون على لسان نبينا محمد ﷺ يوم مروره بعد عودته من العمرة على بئر حذيفة حين خاطبه جبريلُ وقال له: (انزل هنا من على راحلتك وصل ركعتين فهذا واد مبارك)[1]، والبَرَكَة هنا خيرٌ وضعه الله ولا يعلمه إلا هو، ولا يستطيع أي بشر كائنًا من كان أن يوضح أسرار البَرَكَة في هذا المكان.

---

(١) أصل الحديث رواه البخاري، كتاب الحج، باب قول النبي ﷺ: (العَقِيقُ وَادٍ مُبَارَكٌ)، (١٥٣٤)، ونصه: (أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ).

مندوب وليس فرضًا:

وتابع الدكتور الباسل: لابد في هذا المقام من أن نؤكد أن التبَرُّك أمرٌ مندوب وليس شيئًا واجبًا يأثم صاحبه، لاسيَّما أن موطن البَرَكَة في أي زمان أو مكان يُحدِثُ نوعًا من راحة النفس وعُلوِّ الهمة وتهذيب العزيمة، وهو أمر يصعب تفسيره أو الوقوف على كُنهه والوصول لأسبابه المستنبطة، فلسنا ندرك الأسباب التي أدت بهذا الوادي مثل بئر حذيفة ليكون مباركًا، ولسنا نَفْقَهُ الدافع لرسول الله ﷺ حين أمر أصحابه عند المرور ببئر ثمود بالمرور سريعًا باعتباره واديًا ملعونًا، وهو لا يريد لهم مصيرًا مثل مصير ثمود، وهو ما ينطبق على زمزم.

ومن هنا فالمساجد أبْرَكُ أرض الله، مثل: المسجد الحرام والمسجد الأقصى الذي باركنا حوله، والأسواق شرُّها لما يتأتَّى بها من المعاصي والأيمان الفاسدة؛ لذا فمندوب لنا أن نتبرك بهذه الأبواب وذلك لدواعٍ نفسية، والتي أمرنا الله أن نتبرك بها، فمثلًا عندما يدنو المسلم من بيت الله الحرام فينتابه الإحساس أنه في وادٍ مبارك، ويشعر براحة النفس لارتياده هذا المكان، وحالة المسلم في المسجد تختلف عن خارجه.

وطرَح الباسلُ معالجةً شرعية لهذا التبَرُّك بالتشديد على ضرورة أن ندرك أن كتاب الله كتاب مبارك، وبركته تتم بتلاوته وحُسْن تدبر معانيه وتوريثه لأجيالنا من بعدنا حتى تبقى البَرَكَة في النفوس والصدور،

فالبيت الذي يُقرأ فيه القرآن يختلف عن البيت الذي لا يستمع فيه، والتبَرُّك هنا له بُعْدٌ نفسي، فليس معنى البَرَكَة وأن الكتاب مبارك أن أضعه في ديباجة قيمة، أو الاحتفاء بوضعه في السيارة أو العمل أو المنزل بشكل مميز، رغم أن هذا يعد نوعًا من الاحترام والتوقير - بل بتدبر معانيه والعمل بها وإحسان تلاوته.

بل إنه طالب المسلمَ بالسعي لتحصيل البَرَكَة الكاملة من القرآن حتى إن لم يكن يجيد تلاوته، فقال: "إذا كنتُ أقرأ القرآن ولا أحسن تلاوته فلا مانع من العودة إلى إذاعة القرآن الكريم أو الفضائيات الإسلامية حتى نحسن تلاوته، ونشنِّف أذاننا بحسن الاستماع إليه، باعتبارها نوعًا من التربية وتوثيق الارتباط بين الأجيال القادمة بكتاب الله حفظًا وتبَرُّكا به، وأن نحسن سلوكياتنا ونربي أولادنا وأزواجنا وبناتنا على تلك المعاني".

تبَرُّك عَمَلي:

وحاول د.الباسل إعطاءَ التبَرُّك المشروع طابعًا عمليًّا بالإشارة إلى ضرورة تنوع أسباب التبَرُّك فيما يتعلق بالأماكن المقدسة، فلا مانع أن تكون لنا سياحةً إليها؛ فهذه السياحة وهذه الألوان من التجوال لهذه الأماكن المباركة تعلو بالنفس، فالإنسان عندما تكون له سياحة لتلك الأماكن فإنه يربط نفسه وأهله وأولاده بهذه الأماكن، بشكل يحدث لونًا من كنايات الفضل ومعالم الهُدى عبر الوقوف على آثار السابقين ومعرفة

جهدهم، مما تعلو معه النفس وتستقيم قناته وتستقيم أموره؛ مما يجعله يتفضل على غيره بهذه الألوان من السياحة، تأسيًا بالرسول ﷺ الذي كان يداوم على زيارة مسجد "ذو القبلتين" لِمَا كان يشعر داخله بالراحة النفسية والطمأنينة.

السياحة التبَرُّكية:

بل إن الدكتور الباسل يذهب بعيدًا حين يضيف لهذا النوع من التبَرُّك بُعدًا تربويًّا، لاسيما فيما يخص زيارة الأماكن التي لها قُدسِيَّةٌ معينة وطبيعة خاصة، ولها بُعدٌ خاص في التربية بالقول: ألا ترى أن الناس والعوالم والحضارات تشجع السياحة الداخلية في تلك المناطق لتُعلي شأنها بين الأمم، فنجد مثلًا ميادين السياحة في العالم إنما توقف السائح على هذه الأماكن كي يتعرف على معالمها وآثارها حتى تتعلق بها الأذهان، ولعل هذا نوعٌ من أنواع التبَرُّك الإيجابي نحو الأماكن المقدسة التي أمرنا الله أن نتبرَّك بها كنوع من العبادة والتبَرُّك الإيجابي.

ولكن هذا التبَرُّك لا يمكن أن يسير بنا إلا المخالفات الشرعية، فهذا التبَرُّك لا يمكن أن يكون لدفع الضُّرِّ أو جلب المنفعة، وهذا ما لا يجوز شرعًا، بل إن مقتضي الأمر الذي يجب أن نفهمه ونعقله مفاده أنه "لا أحد يملك نفعًا ولا ضرًّا ولا يُستغاث ولا يُستعاذ، ولا يُستغاث إلا الله تعالى" .

دلالات تربوية:

ويعدِّد الباسل الدلالات التربوية والشرعية لهذا النوع من التبَرُّك المشروع الذي يجب أن نلتصق به وأن نقف على آثاره، ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[الروم: ٥٠]، فهذا هو المراد، وهذا هو المعنى الإيجابي للتبَرُّك؛ لذا فالعالم الإسلامي مُطالَبٌ أن يُحييَ هذا النوعَ من السياحة التبَرُّكية التي تستقيم وتنطلق من مفهوم التوحيد، فذهابنا إلى هذه الأماكن نوع من التربية والتصفية والوقوف على آثار السابقين وعلو الهمم، لا أننا ندفع بها ضرًّا ولا أن تأتي إليها من لا تحمل كي تحمل، أو من وقع في مصيبة كي ترفع عنه.

بل إن التداعيات الإيجابية لتلك السياحة التبَرُّكية أن الإنسان يجب عليه أن يصلي فيها ويقوم الليل ويكثر من الطاعات، ولا مانع من ذكر الله بالدعاء والاستعاذة به، ويرتبط فيها بأنواع من الطاعات ويتعبد كما هو حالنا في سفراتنا نحو المسجد الحرام حجًّا وعمرة، وزيارة مسجد النبي ﷺ والسؤال له الوسيلة والفضيلة وأشياء أخرى مما ندَبَنا إليه اللهُ ورسولُه ﷺ.

ويعدِّد معالم البَرَكَة بالإشارة إلى الزمان المبارك الذي ينبغي أن نلتصق به، فهناك أزمنة معينة ندبنا القرآن أن نكون فيها على وفق الطاعة، فالتبَرُّك فيها نوع من التربية والتصفية، فهذا شهر رمضان شهر مبارك، وأشهر الله الحُرُم أشهرٌ مباركة، نجتمع فيها بنفوسنا وأفئدتنا وقلوبنا، ونقترب من الله ونبتعد

عن معصيته، ونستثمر في هذه الأوقات التي تكثر فيها الرحمات والخير والمغفرة، ويَبسُطُ الله فيها يديه للمسيئين، وعلينا أن نستثمر هذه الأوقات المباركة لنكون أكثر إنتاجًا وأكثر عطفًا وصلة للرحم، فهذه مقومات من مقومات تعديل السلوك؛ لكي نظل على معنى التبَرُّك، وعلى الاجتماع على أسمى الأخلاق والعقائد والتشريعات، وحبّ الله ورسوله وكتابه، وحب الأئمة وحب الأوطان، وعلى إقامة الحق والعدل.

تحسُّن نسبي:

أما عن واقع التبَرُّك في أغلب بلدان العالم الإسلامي فيرى الدكتور الباسل أنه وبفضل الله ومع بداية الصحوة التي نشأت فيها الأجيال الحالية ـ نجد أن بعض السلوكيات التبَرُّكية بدأت في التحسن والاقتراب من المنظور الشرعي.

أصلُ التوحيد:

وفي هذا السياق يجدر أن ندرك أنه لا يجوز للإنسان أن يذهب إلى وليٍّ ولا حجَرٍ ولا شجر ليسأله النفع أو جلب الخير أو دفع الضر؛ فهذه ليست من مقتضيات الإيمان بالله، ولم يندب لنا التبَرُّك لنتصرف به عن التوحيد، أو لنتصرف عن الله النافع الضار وحده، وهو مَن يملك أن ينفع ومن يملك أن يضر، وأنه الأول والآخر بيديه كل شيء، ألا له الخلقُ وله الأمر.

وحين نفهم التبَرُّك في ضوء مضامين هذه الكُليَّات الكبرى فالله هو الإله، وهو المعبود، وهو الذي يُسأل ويُستغاث به ويُستعان به، وغير ذلك من الكليات المعروفة، وما ينبغي أن تنضبط معه معاني التوحيد، وهذه المعاني لا يمكن أن تخلط ببعضها، فإذا انحرفت سلوكيات بعض المتبرِّكين بشكلٍ يهدم إحدى هذه الكليات؛ فلاشك أن هذا تبَرُّك لا يريده الله ولا رسوله ولا كان عليه الإسلام الصحيح.

السَّلَف عُمدة:

وطالب الباسل مَن يريد أن يتوسَّع في مسألة التبرُّك بألا ينجرَّ إلى ذلك إلا إذا كان معه مستندٌ ودليلٌ شرعي، مشددًا على ضرورة أن يكون سلفنا الصالح عُمدةً في هذا السلوك، فلا يمكن لشخص أن يُقَبِّل شجرة أو يُقَبِّل حجرًا أو يطوف بضاحية فهل له إلى ذلك من سبيل؟ وهل له في ذلك قدوة؟ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فلابد مِن أن نقتديَ بهم، فخير القرون من ربَّاهم رسول الله ﷺ، وفهموا معنى الدين، فما كان في زمنهم دِينًا فهو في زماننا دين، وما لم يكن في زمنهم دينًا فلا يكون في زمننا دينًا، وما وسِعهم يسَعنا وما لم يسَعْهم لا يسَعنا، فلا يجوز التوسع في أمور لم يفعلوها ولا أن نفعل أمورًا لم يفعلوها؛ فإن النجاة من وراء ذلك؛ لأن ما فعلوه لابد أن يستند إلى تعاليم من الله ورسوله، فقد كانوا بحقٍّ واقفين على مراد الدِّين وأوامره ونواهيه.

طريق للشرك:

أما الدكتور محمد إمام -رئيس مجلس أمناء السلفية وأستاذ السياسة الشرعية بجامعة الأزهر- فقد تَبَنَّى موقفًا جديدًا من قضية التبَرُّك، الذي شاع في هذه الآونة وفي أفعال العامة وكلامهم، ومنها التبَرُّك بآثار الصالحين أو زيارة قبورهم أو التمسح بأضرحتهم وما شابه ذلك، وهذا النوع من التبَرُّك مذموم منهي عنه شرعًا، ولعظم الخطر الذي يشكله هذا النوع من التبَرُّك على عقيدة المسلم آثَرْنا أن نتحدث عنه في البداية، لاسيما أن هذا النوع من التبَرُّك قد يُوصِلُ أصحابه إلى الشرك، خاصةً إذا اعتقدوا أن أحدًا غير الله ينفع أو يضُرُّ باعتبار أن هذا نوع من التوسل المذموم.

وفي المقابل، هناك نوع من التبَرُّك المشروع وفي مقدمة هذا النوع التبَرُّك بالقرآن الكريم والسنة النبوية عبر قراءة القرآن والعمل بسنة النبي ﷺ، فهذه عبودية لله تعالى ذات نفع عظيم ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء: ٨٢]، وكذلك التبَرُّك بآثار النبي ﷺ فقد ثبت هذا التبَرُّك عن الصحابة في سنته الشريفة بإسناد صحيح، فذكر أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يأخذون من عَرَقِه ﷺ فسيتعملونه مِسكًا في قواريرهم[1]، وكانوا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣١) و(٢٣٣٢)، كلاهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: "أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِطَعًا، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النِّطَعِ" قَالَ: "فَإِذَا نَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعَرِهِ، فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ"، وهذا لفظ البخاري، وفي رواية مسلم: فَفَزِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ" فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: "أَصَبْتِ".

يأخذون ماء وُضوئه فيدلكون به أجسادهم[١]، بل ثبت أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أخذت من رِيقه ﷺ تبَرُّكا به[٢].

وأقدَمَ عددٌ من الصحابة على التبَرُّك بسواك النبي ﷺ، وآخرون تعلقوا بخُصلة من شعره على نفس النحو، وهذا تبَرُّك مشروع بآثار النبي ﷺ إذا ثبت يقينًا أنها آثارُه عبر إسناد متصل وسليم، أما إذا كان الأمر قائمًا على الشكِّ والتخمين فالأولى تركه.

ومع هذا يرى رئيس مجلس أمناء السنة أن التبَرُّك بالكتاب والسنة ، يأتي باتباع تعاليم القرآن والسَّيْرِ على سنة رسول الله ﷺ، فمثلًا رأينا مَن يقوم بتحنيك المولود عبر وضع التمرة في فمه، وتحنيك جسده، فهذا ليس تبَرُّكا بالمحنِّك إنما تبَرُّكا بسنة النبي ﷺ، واتباع هَدْيه في هذا الفعل الذي ثبت عنه[٣].

---

(١) في صحيح البخاري (٥٨٥٩) عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيه، قَالَ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ، وَرَأَيْتُ بِلَالًا أَخَذَ وَضُوءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالنَّاسُ يَبْتَدِرُونَ الوَضُوءَ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا تَمَسَّحَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا، أَخَذَ مِنْ بَلَلِ يَدِ صَاحِبِهِ".

(٢) أخرج البخاري (٥٠١٦)، و مسلم (٢١٩٢) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي" وَفِي رِوَايَةٍ: بِمُعَوِّذَاتٍ. وهذا لفظ مسلم.

(٣) أخرج البخاري (٣٩٠٩) و (٥٤٦٩) ، ومسلم (٢١٤٦) عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيْتُ المَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءٍ فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ "دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ".

وما نتحدث عنه هنا ـ والكلام مازال لرئيس مجلس أمناء السلفية ـ يعد نوعًا من التبَرُّك المشروع الذي ندعو الناس للسير على نهجه والعمل به، وتجنب التبَرُّك المحرم؛ فهو من البدع المستحدثة والمنكرات الفظيعة التي شاعت بين العوام، فمثلًا من أنواع التبَرُّك المذموم ما عُرف عن التمسح بالقرآن الكريم أو بصحيح البخاري أو بوضع المصحف في السيارة وكتب العلم في المنزل والسيارة والعمل والنظر إلى ذلك باعتباره من أفضل طرق تحصيل البركة؛ فهذا تبَرُّك مذموم ومنهي عنه.

ولكن التبَرُّك المشروع يأتي بالاستجابة لأوامره والبعد عن ما نهى عنه، ومن العظيم جدًّا أن يتبَرَّك المسلم بكتاب الله وقراءة القرآن باعتباره من أفضل وسائل تحصيل البركة.

ملاحقة الدراويش:

وشاطَرَه القول الدكتور محمد عبد المنعم البري -أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر- والذي اعتبر أن من علامات الانحدار والانزلاق إلى المهاوِي ما يشيع بين العامة من ملاحقة الدراويش وأدعياء الولاية والوصال، وهي أمور شركية أو مدخل كبير نحو الشرك، فلا يليق بمؤمن أن يهدِمَ أعظم عِمادٍ من أعمدة التوحيد، فالنافع والضار والمُعِز والمُذِل هو اللهُ الواحد لا شريك له، ومن ثَمَّ فلا يصح للمسلم الحصيف صافي الإيمان الصادق الثقة أن تنزلق قدمه إلى مثل هذه السلوكيات، وأن

يرى نافعًا غير الله أو ملجأ أو ملاذًا غير الله، أو ينزلق بفكره أو أمله أو رجائه إلا لله، وهذه أمور ينبغي العدول عنها.

جَهَالاتٌ وكوارث:

إن ما نراه من تبَرُّكٍ بشجرةٍ أو بمسجدٍ وبوليٍّ أمورٌ شِركيَّةٌ، تنقطع تمامًا عن التبَرُّك المشروع الذي وضع الشرع أُسُسَه، فالنافع الضار هو الله، والله وحده هو المعز المذل لا شريك له، ومن يتوهم غير ذلك فهو على حافة الشرك والهاوية، ونسأل الله أن ينجِّيَنا من هذه المزالق السيئة، والكوارث التي أنتجتها الجهالات والبعد عن جوهر الدين ولُبِّ الإسلام، والتي لا يجني منها إلا ما يجني منها المشركون والمشوِّهون للعقيدة الصافية التي يعد التوحيد أبهى صورها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وهذه هي القاعدة الشرعية التي لا ينبغي لقدم مسلم أن تنزلق إليها مهما كان الواقع الذي يعيشه والضغوط التي يتعرض لها.

أدوار في المعالجة:

ونبَّه إلى وجود دور كبير للعلماء في وضع قواعد المعالجة الشرعية لهذه السلوكيات الشركية عبر تفعيل دور الدعاة عبر ما أسماه "المدارسة وإبلاغ كلمة الحق والتوحيد وتنقية العقيدة من الشوائب والشبهات ومحاربة البدعة بكل الوسائل، فليس من الإسلام أن يطلب المسلم المَدَدَ من شجرة أو من حيوان أو غير ذلك، وهذه سلوكيات تدل على قصور

الدعاة وعدم اهتمامهم بأمور العقيدة، وتأكيد على انحراف الفضائيات ووسائل الإعلام عن الطريقة الصحيحة بشكل أنتج الكوارث الشركية والبدعية التي تحاصرنا" .

وكذلك على وسائل الإعلام دورٌ كبير في هذا الصدد، عبر الحرص على استضافة العلماء أهل الفهم والوعي، على أن يضعوا في الاعتبار ضرورة توعية المسلمين بالفكر الإسلامي الصحيح؛ لذا فمن المهم المراهنة على بعض الفضائيات الإسلامية الجادة لتعديل هذه المعوجات التي أصابت الكثيرين بخلل في عقيدتهم، ومن سيطرة مفاهيم خاطئة على العامة بعيدة عن جوهر الإسلام.

ومن المهم كذلك -بحسب الدكتور البري- العملُ على إصلاح مناهج التعليم، وإزالة ما بها من كوارث شرعية وسلوكيات بدعية، والتركيز على محْوِ هذه البدعيات من سنوات الدراسة الأولى حتى لا نرى مناهج تعليمية تهلِّلُ للتبرُّك بأصحاب القبور وتطرب لأصحاب الأضرحة.

ونبَّه إلى أنه لا يصح أن تسيطر هذه السلوكيات على حياتنا مع التفوق التكنولوجي العالمي والارتقاء الأدبي، في ظل ما نمتلكه من تراث خالد ومواريث راقية، فنبينا ﷺ وسلفنا الصالح لم يكونوا يتمسَّحون بقبر ولا يطوفون بشجرة باعتبار أنها مدخل إلى الشركيات، بل إن هناك من

يرفضون أيَّ تبَرُّك بأعمال الصالحين والأولياء، فالتبَرُّك لا يكون إلا بالله، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

ولفت البري إلى ضرورة التركيز كذلك على الأهمية القصوى للتركيز على دور قوافل العلماء للمناطق النائية في استئصال شأفة هذا المرض العُضال من جسد المسلمين، وأتذكر هنا أن قوافلَ من العلماء ذهبت إلى مناطق نائية ونجحت في وَأْدِ مِثْلِ هذه الفتن، والعودة بعدد كبير من المسلمين إلى الجادَّةِ، وتنقية عقيدتهم من الشوائب، وهو ما نرجو أن يداوم عليه العلماء والمؤسسات الدينية حتى نستطيع التصدي لهذه العقائد الشركية والبدع المستنكرة.

شَجَرَةُ الغريب

عادل منّاع

الهروب:

القاهرة ـ ١ مارس ١٨١١م ـ منزل أحد أعيان المماليك.

وقف ذلك الأمير المملوكي في توتر وقلق، يجوب أرجاء المنزل ذهابًا وإيابًا، يستمع في انزعاج وخوف إلى صراخ تلك المرأة في حجرة مجاورة، ولم يَنتشلْه من حالته تلك سوى خروج امرأة بَدَتْ عليها أمارات البِشْرِ وهي تقول: أحمد بك، مبارك، لقد رزقك الله بغلام كالقمر.

هنا سجد أحمد بك لله شكرًا على غلام طال انتظاره، وأتى بعد عشر سنوات من الحرمان، فدخل مُسرعًا إلى حيث زوجته وابنة عمه في نفس الوقت، فأمسك بيدها يقبلها ويمسح العَرَقَ عن جبينها، وهو يقول: حمدًا لله على سلامتك يا قرة عيني، ثم قفزت عيناه إلى ذلك الصبي الذي بدا كالقمر كما وصفته الجارية.

وما كاد ينعم بتنقُّل بصره بين فلذة كبده وزوجته الحبيبة حتى تناهى إلى سمعهما صوت طرقات عنيفة على الباب، ففتحت الجارية مستقبِلةً أحد أصدقاء سيدها، والذي دخل مُسرعًا يهتف بصاحب البيت: أحمد بك.

استقبله أحمد وهم بسؤاله عن سر فزعه، إلا أن الرجل قد عاجله بقوله: اصطحب زوجتك وما خفَّ من أموالك واهرب سريعًا من هذا المكان.

أحمد: ما الذي حدث؟ تكلم يا رجل.

فأجاب بسرعة وفزع: الباشا محمد علي، اغتال مَن حضر حفل تنصيب ولده طوسون على الجيش المسافر إلى الجزيرة، اغتال كل المماليك الذين حضروه، هيَّا.

أحمد وقد اتسعت حدقتاه: يا إلهي، كنت سأكون منهم لو لم يحدث ظرف الولادة الطارئ، ولكن ...

قاطعه الرجل قائلًا: هيا ليس هناك وقت فالجنود يجوبون الأحياء ينهبُون البيوت ويقتلون من يجدونه، هيا.

دخل أحمد مسرعًا إلى حجرة زوجته بعد أن أمر بتجهيز راحلة لهما، فنظر إلى زوجته في حنان وهو يقول: حبيبتي، أعلم أنك متعبة وأن ولادتك كان متعثِّرة، ولكن لابد وأن نهرب من هنا بسرعة، تحاملي على نفسك واتكئي علي، فقامت في وهن بعد أن أخبرها بموجز لهذا الحدث المفزع.

انطلق أحمد بك وخلفه على فرسه زوجتُه المتعبة ومعها وليدها، واتجها قبالة الصعيد، وسلكا طريقًا صحراويًّا وَعرًا ينشُدان النجاة.

ساعاتٌ قد مضت في طريقهما للهروب، والزوجة تترنَّح خلف زوجها من الإعياء، فشعر بذلك الضعف الشديد الذي اعتراها، فأوقف فرسه وأنزل زوجته، والتي بدت وكأن الموت قد شق طريقه إليها.

وضع الصبيَّ على الرمال وأسند زوجته إلى ساعده، وهو يسقيها جرعة ماء، وقد لاح من بعيد كوكبة من الفرسان وكأنهم حشرات زاحفة من بعد المسافة، فحاول من جديد حملها وهو يصرخ: هيا، هيا يا حبيبتي سوف يدركوننا.

الزوجة: لا فائدة، إنني أموت يا أحمد، اهرب بوليدنا، اهرب.

أحمد في غضب وهو يسُلُّ سيفه من غمده: لا، لن أدعك، سوف نعيش سويًا أو نموت سويًا.

الزوجة: لا فائدة يا أحمد، إنني أموت، اهرب بولدنا، أستحلفك بالله لو قبضوا عليك سيقتلونك ويقتلون الرضيع، اهرب.

أحمد وهو يربط الوليد في قطعة قماش ويضعه خلف ظهره ويربط طرفاها على صدره: هيا سوف أحملك على الحصان، لن ...

قطع كلماته مشهد زوجته وقد مالت يداها وشخص بصرها، فصرخ: جولنار، جولنار.

انكب عليها باكيًا وقد أظلمت الدنيا في عينيه.

جولناااااااار، قومي معي يا حبيبتي، قومي يا جولناااااااار، قالها وهو يصرخ وينتحب، ولم ينتشله من حالته تلك سوى صراخ ولده، فقام والغلام على ظهره بعد أن نزع قلادة جولنا، والتي نقش عليها اسم أحمد وجولنار، يريد أن يأخذ التذكار الأخير منها. اقترب منه فريق المطاردة، فانطلق يسابق الريح بعد أن ألقى نظرة الوداع على جثمان جولنار وهو لا يدري ما مصير ذلك الجسد الطاهر، أيكون طعمة للوحوش في البرية أم يكرمها صاحب قلب رحيم ويواري جسدها التراب.

شجرة الأحزان:

أيقن أحمد بعد ساعات من الركض أنه صار بمأمنٍ من ملاحقة الجنود، فانتهى به سعيُه إلى أطراف إحدى القرى في قنا جنوب مصر، ونزل من على جواده يحمل الصبي واعتلى تلًا من الرمال يحتضن شجيرة، بدت لحظات الغروب وكأنها مثل الرجل تمامًا في غربته ووحدته.

أسند الرجل ظهره للشجرة الصغيرة وهو يضمُّ الصبي إلى صدره ويسكُب عليه دموعه وقد علا نحيبُه لهذا البؤس والشقاء الذي حلَّ به، وارتشف جرعة ماء وهو لا يدري ماذا يعطي ولده ليظل على قيد الحياة، فبلل أصبعه بالماء ووضعه في فم الرضيع، والذي شرع يمص أصبع والده بنهم، فأسند الرجل رأسه إلى الشجرة في إعياء شديد.

لم يدرِ كم مرَّ عليه من وقت قبل أن يُفيق من سباته وقد اكتنف الدنيا الظلام، فجعل يكلم الصبي وهو يتفطَّر من الحزن والبكاء: آهٍ يا ولدي،

تُرى كيف أمك الحنون؟ أين صار جسدها الطاهر؟ آهٍ يا جولنار، إذا ما سألني ولدك عنك، بمَ أجيبه؟ قالها وازداد نحيبه وبكاؤه.

أثار انتباهُه أن الصبي لم تصدر منه صرخة أو أنَّةٌ، ساوره الشك، فقرَّبَ أذنه من وجه الطفل علَّه يسمع صوت أنفاسه، لا شيء، لا حراك، لا نبضات، ظل يهز الطفل في عنف متدرج، وصرخات مكتومة ونحيب متقطع، لا شيء، قد فارق الحياة.

ضمَّ الصبيَّ إلى صدره في بكاء هستيري، وما هي إلا ساعة متواصلة من النحيب حتى شرع في تغسيل الصبي بما تبقى من ماء في سقايته، وكفَّنه في عباءته، وحفر له في أصل الشجرة، لقد دفن حياته في ذلك المكان، دفن ولده الذي لم يَهْنَأ به يومًا كاملًا بعد انتظار عشر سنوات، ودفن قلادة زوجته، وكأنه قد أقبر جولنار ذاتها.

ثم صلى على الرضيع صلاة الجنازة، وخارت قواه فتمدَّد على الأرض بجوار القبر الذي أسكنه سعادته وفرحته الموءودة التي لم تكتمل.

وضع خده على القبر الصغير في أصل الشجرة، والتي سالت تحتها دموعه وكأنه يرويها بتلك الأحزان المتدفقة.

التِّيه:

أشرقتِ الشمسُ ناشِرةً أشعتها الذهبية على الرِّمال، وأفاق الناسُ من نومهم على مرأى ذلك الغريب الذي قد التصق بجذع الشجرة، وهو ينتحب ويصرخ، ولم يجترِئ أحد منهم على الدُّنوِّ منه، ولكنهم كانوا

يراقبونه من على بعد أمتار، وهم لا يجدون تفسيرًا لالتصاقه دائمًا بأصل الشجرة وتمريغ خدَّيْه في تربتها.

واعتاد الناس هذا المشهد المتكرِّر على مدى أيام حتى اقترب رجلانِ منهم من الغريب، وقد وجداه شاردَ الذهن وكأنه لا يشعر بهما برغم وقوفهما أمامه، فسألاه: مَن أنت؟

أجاب أحمد بوهن وبطءٍ وهو شارد الذهن: لم أعد أعرف مَن أنا.

قال أحدهما: مِن أي البلاد أنت، ثيابك ثياب أمراء.

أجاب في تهالُكٍ: بلادي وكلُّ حياتي هنا، في أصل هذه الشجرة، أودعت فيها أسراري، ثم انفجر ضاحكًا والدموع تنهمر من عينيه في نفس الوقت، فاستطرد هامسًا وقد اتسعت حدقتاه فيما يشبه أحوال المجانين:

إن لهذه الشجرة أسرارًا عظيمة، الويل لمن يقترب من تربتها، ثم عاود الانفجار في الضحك بشكل جعل الرجلينِ يفران منه، تاركيْن إياه يتمرَّغ في أصل الشجرة وهو يصرخ.

تناقل الناس أخبار الرجل، وذاع بينهم أنه وليٌّ من أولياء الله يعرف للشجرة أسرارًا وبركات، حتى دأبوا على تقديم الطعام والشراب والكساء للرجل الشارد، والذي لم يزدهم شرودُه وذهوله إلا اقتناعًا بولايته وصلاحه، واقتناعًا كذلك ببركة تلك الشجرة.

وبعد مرور خمسة أعوام، وفي ذات ليلة خُيل لأحمد بأن امرأةً تصحب طفلًا صغيرًا يقفان أمامه ويبتسمان، وقد نشرا ذراعيهما له، وينايانه أن يلحق بهما، ابتسم وهو يتبعهما إلى حيث يسيران أمامه، بل ظل يركض ويركض خلفهما، حتى غابت عنه معالم القرية، ولم يُرَ له أدنى أثرٍ بعدها، ولم يعلمِ الناسُ عنه شيئًا بعدها.

وأما أهل القرية فقد أصابهم الذهول والدهشة عندما فقدوا آثار الرجل، لكنهم قد عادوا إلى حيث كان يقطن، إلى هذه الشجرة التي قد كستها هالةٌ من المهابة قد نسجتها أوهام الناس في القرية.

لقد أصبحت الشجرة بعد رحيل الغريب مأوى للمُحتاج والملهوف، الجميع يُهرَع إليها ويتمسَّحُ بها، ويلتمس البَرَكَة في تربتها، ويستشفي بأوراقها.

الميراث المشؤوم:

نفس القرية عام ٢٠٠٧:

في أحد بُيوت القرية كان "رجب" ذلك الشاب الذي مضى على زواجه عام يجلس شاردًا مهمومًا حيث إن زوجته رغم مرور سنة كاملة لم تحمل بعد.

شخصٌ ما يطرُق باب البيت، فتفتح زوجته فترحب بالزائر والذي لم يكن سوى أمها التي دخلت وسلمت على زوج ابنتها، فما هي إلا لحظاتٌ قدَّم فيها الترحاب حتى استأذن وخرج.

تبِعتْه أمُّ زوجته ببصرها حتى جاوز باب الدار، فالتفتت إلى ابنتها قائلة: ما بال زوجك يا حنان؟

حنان: لا شيء يا أمي، تعرفين أنه قلق بشأن مرور عام على زواجنا ولم أحمل بعد.

الأمُّ: لم لا تذهبين إلى شجرة الغريب؟ إن لها أسرارًا وبركات، اذهبي فقط وعلِّقي ثيابك عليها، واحملي معك شيئًا من تربتها وضعيه على ماء واغتسلي به.

حنان: وهل سيجدي هذا يا أمي؟ أنا أشك في ذلك، ورجب هو الآخر يقول بأنها خرافات.

الأمُّ: أيُّ خرافات يا بنيتي، إنها مجرَّبة، لطالما فزِع إليها آباؤنا وأجدادنا، وما زال الناس يذهبون إليها لقضاء حاجاتهم، يلتمسون منها البَرَكَة والشفاء والإنجاب.

هزت حنان رأسها وهي تقول: حسنًا يا أمي، سأجرب.

لقد مرت عشرات السنين ورِث خلالها أهلُ القرية نفس الاعتقاد في تلك الشجرة التي ضربت جذورها في الأرض وعظمت وتشعبت تمامًا كما ضرب اعتقادهم فيها جذوره في قلوبهم وتشعب في أوصال كيانهم.

فها هي ذاتُ الشجرة تراها قد عُلِّقت عليها الثياب، هذه تلتمس

الإنجاب، وهذا يلتمس الشفاء، يتمرَّغون في أصلها، ويحملون معهم شيئًا من أوراقها، بل حتى في معارك الثأر بين العائلات كانوا يذهبون إليها قبلها يلتمسون البَرَكَة والنصر.

شبكة الدمار:

وفي القاهرة كان جمعٌ من الرجال على اختلاف أعمارهم يجتمعون في طابق لإحدى الأبنية السكنية، يتوسط الجِلْسَةَ رجلٌ يرتدي عمامة سوداء يقول لمن حوله:

لم يعُدْ لنا حل لبث أفكارنا إلا اختراق الصوفية، والعمل على نشر مذهبنا من خلال بث أفكارهم وعقائدهم، وهذا يستلزم .... قاطعه أحدهم: ولماذا لا نقوم بنشر مذهبنا مباشرة دون اللجوء لهذا؟

أجاب صاحبُ العِمامة السوداء: أولًا هذه أوامر أصحاب الرأي هناك، ثانيًا لقد أثبت التاريخ أن مذهبنا لا يصلح للانتشار في مصر بصورة مباشرة، وخير مثال على ذلك إخواننا الفاطميون، حكموا مصر في حِقْبَة من الحِقَب، ولم يستطيعوا فرض مذهبهم في ربوعها وبقيت على مذهب النواصب كما هي.

سأل آخرُ: ولِمَ الفكر الصوفي بالذات يا سيدي؟

أجاب: لأننا وهم نشترك في أمور منها محبة آل البيت وتعظيمهم، فيسهل خلط أفكارنا بأفكارهم، وهذا يستلزم نشر أفكارهم وعقائدهم،

وبالمناسبة، سوف يتم تأجيل الاجتماع الشهري لمدة شهرين تحسبًا لأي مراقبة أمنية، وأبشركم بأن شبكتنا السرية امتدت لتشمل جميع محافظات مصر.

انفض الاجتماع وخرج المجتمعون واحدًا تلو الآخر على فترات، وجلس رجل يُدعى موسى يقطن تلك القرية السالفة الذكر، فسأل صاحب العمامة السوداء:

سيدي، وماذا بشأن تلك الشجرة التي أخبرتك عنها في قريتي؟

أجاب: حاول نسج القصص الوهمية بشأنها، وقم أنت ورفاقك ببثها في الآفاق حتى يتعلَّقَ الناس بها أكثر فأكثر، حتى تزرعوا الطُّرُقَ الصوفية وتدعموها، ومن خلال نشر أفكار المتصوفة سوف تنشرون المذهب شيئًا فشيئًا.

استطرد: أعلم أنه طريق طويل، ولكنه الأوحد.

ابتسم موسى وقد التمعت عيناه وعزم على تطبيق ذلك الكلام بحذافيره، حتى يتسنَّى لهم نشر أفكارهم في القرية.

صوت مختلف:

في مسجد القرية الكبير كان الإمام يُلقي درسًا أسبوعيًّا على مسامع الناس، وفي نهاية اللقاء وردت بعض الأسئلة للشيخ، كان منها ما ألقاه "صلاح" ذلك الشاب الجامعي الذي تبرق عيناه بالحماس:

يا شيخ، كيف يعتقد الإنسان النفعَ في شجرةٍ لا تملك لنفسها شيئًا؟

علتْ هَمْهَمات متواصلة من رُوَّاد المسجد تنمُّ عن اعتراض وسُخْطٍ، فأسكتهم صوت الإمام وهو يجيب الشاب: يا ولدي لو اعتقد الإنسان في حجرٍ لنفعه!

تعالت صيحات التكبير دلالةً على الإعجاب بكلام الشيخ، ولكن لم يكن لكلامه ذاتَ الوقع في نفس الشاب والذي عارض بحماسة شجاعة:

يا شيخ، كيف يُودع الله البَرَكَةَ في شجرة والإنسان هو الذي غرَسَ غِراسها وبالماء رواها، أيلتمس البَرَكَة في شيء قام عليه ورعاه؟!

عادت الهمهمات مرةً أخرى ونطق هذه المرة أحد الشيوخ المسنِّين: ومَن أنت حتى تصحِّح المعلومة للشيخ؟ لقد وجدنا الآباء والأجداد على ما يقوله لك، لماذا تشرُد برأيك عنا؟ أم تريد أن تكون كما يقال: خالفْ تُعرفْ؟

قام الشاب وهو يقول بعصبية: لأن الله خلق لي عقلًا، وفائدة العقل أن أفكر به، لا أن أسلمه لكل من يقول كلمة بدون سند، ثم أشاح بوجهه عنهم وتركهم وانصرف.

الشيخ مبتسمًا: رفقًا بالشاب يا رجال، أنتم تعلمون حماسة الشباب، لا ريب أنه سوف يعود إلى صوابه، فترفقوا به.

الوافد الجديد:

جلس "صلاح" في شُرفة منزله مُسنِدًا ذراعَيْه على سُورها شاردَ الذهن، ولم ينتزعه من شروده سوى تلك اليد الحانية التي شعر ببردها على ذراعه.

اعتدل "صلاح" في أدب جمٍّ أمام والده الذي أطلت من وجهه ابتسامة عذبة وهو يقول: فيم تفكر يا طبيب المستقبل؟

ابتسم "صلاح" بدوره وهو يقول: ما زلت في بداية العام الدراسي الأخير يا والدي وأنت تصر منذ التحاقي بكلية الطب على مناداتي بالطبيب.

ضحك الوالد قائلًا: إن شاء الله يا ولدي، ستصير طبيبًا متميزًا، فأنت بفضل الله تعالى تجمع بين الذكاء والفطنة والشفقة والرحمة والشعور بالمسئولية، وهذه أهم صفات الطبيب الناجح، ثم استطرد الوالد: لم تجبني على سؤالي، مالي أراك شارد الذهن كثيرًا في هذه الأيام؟

زفَر "صلاح" بهدوء وهو يقول: لا شيءَ يا أبي سوى تلك الخرافات التي امتلأت بها عقول الناس في قريتنا، لستُ أدري كيف قادتهم عقولهم إلى الاعتقاد في شجرة لا تنفع ولا تضر، فلا الشرع يُقرُّ ذلك ولا العقل والمنطق.

الوالد: الجهل يا ولدي، الجهل قد استحكم فيهم، أومأ "صلاح" برأسه قائلًا: لاشك يا والدي، والذي يزيد الأمور سوءًا أن يقر بهذه الجهالات مَن يتصدى لتوجيه الناس وتعليمهم.

الوالد: لعلك تقصد الشيخ سعيد، أجاب صلاح: نعم يا والدي أقصده، تابع الوالد حديثه: لديك حق فيما تقول يا صلاح، فمما يُؤسَفُ له حقًا أن يكون أهل العلم أنفسُهم متأثِّرين بهذه الخُرافات.

صلاح: أحمد الله يا أبي على سَعَةِ علمك، وأتخيل لو لم تحصل على ليسانس الشريعة والقانون من القاهرة واحتكاكك بأهل العلم ماذا سيكون حالنا اليوم؟ ربما كنا نعلق الثياب على شجرة الغريب.

ضحك الاثنانِ بعد عبارة صلاح، والذي انتبهت حواسه فجأة وكأنه قد تذكر شيئًا، وبالفعل قال: بالمناسبة يا أبي سمعت أن هناك إمامًا جديدًا للمسجد الكبير.

الوالد: سمعت بهذا أيضًا، وأتمنى أن تعين وزارة الأوقاف هذه المرة إمامًا ينتشل الناس مما هم فيه.

وفي الوقت ذاته دخل فرعَ وزارة الأوقاف بمحافظة قنا شابٌّ في الثلاثين من عُمُره، يظهر على مُحيَّاه الوقار، ليتسلم خطابًا تكليفيًّا بالعمل كإمام وخطيب للمسجد الكبير في القرية السالفة الذكر.

وكان الشيخ قد تناهى إلى علمه شأنُ تلك القرية وأحوال أهلها وما هم عليه من جهل ووقوع في الخرافات، وعلى الفور سارع بتقديم طلب لنقله لمسجد تلك القرية الكبير، وكان لسمعته الطيبة في الوزارة أثر بالغ في قبول طلبه، فلم يكن الرجل يسعى لمجرد التكسب، وإنما كان صاحبَ

رسالة يريد أن ينشر نور العلم في الآفاق ويزيل به آثار الجهل التي رانت على حياة الناس.

شياطين الظلام:

جلس المدعو "موسى" ورفاقه في مقهى القرية، فمال على أذن أحدهم هامسًا: هل فرغ جابر من إعداد الجهاز للعمل؟ أجاب رفيقه: نعم، وبقيت عشر دقائق بالتمام ويتم البدء، فسأله موسى: المهم أن يقوم بإطفاء الجهاز وإخفاؤه سريعًا بمجرد إصدار الإشارة.

أجاب رفيقه وهو يتلفت حوله: لا تقلق، كل شيء سوف يسير وَفْق الخطة الموضوعة.

مضت عشر دقائق جاء بعدها أحدهم يلهث في فزع ودهشة، وهو يقول بأعلى صوته على مسامع رواد المقهى: لقد رأيته، رأيت الغريب على الشجرة، رأيته.

اجتمع الناس حوله تكتنفهم الدهشة وهم يستوثقون من حديثه، فتدخل موسى متصنّعًا الدهشة: لقد صدقت روايات وحكايات الأجداد إذن.

سأله أحد الشباب: أي حكايات يا أستاذ موسى؟ أجابه قائلًا: تناقل الآباء حكايات عن ظهور الغريب في الشجرة، وظهر لبعض الناس أثناء سيرهم ليلًا، وها هو سعيد قد رآه الآن.

واصل سعيد إبداء دهشته وهو يقول: تعالَوْا معي لكي ترَوْا بأنفسكم صدق كلامي، فانطلق الجميع مُسرِعين إلى أطراف القرية حيث تقبع شجرة الغريب، وبالفعل لاحت صورة من بعيد تمثلت في الشجرة، كانت صورة رجل يرتدي ملابس غريبة، وظلوا ينظرون بحسب ما تسمح به الرؤية من المسافة البعيدة.

قرروا الاقتراب من الشجرة في حذر، وما كادوا يخطُون خطواتهم الأولى حتى أطلق موسى إشارة من خلال هاتفه الجوال، وعلى الفور اختفت الصورة فوقف الجميع، كلٌّ في مكانه، يكتنفهم الظلام والذهول.

وفي الصباح كانت القرية بأسرها قد سمعت بما حدث في تلك الليلة، ولقد كان لهذه الواقعة أثر عظيم في توافد الناس على شجرة الغريب للتبَرُّك بها، وازداد يقينهم بها،تمامًا كما دبَّر شياطين الظلام.

منبر الحق:

في المسجد الكبير بالقرية كان الناس ينتظرون ذلك الإمام الجديد، ومرت دقائق أعقبها ظهور ذلك الشيخ الشاب "بدر" ، فارتقى المنبر، وما هي إلا كلمات الأذان قد انطلقت حتى فوجئ المصلون بكلمات نورانية تخرج بأسلوب شيق سلس لم يَدَع مجالًا لأحد منهم لأن تأخذه سِنَةٌ أو غفلة.

طرق الشيخ الجديد على قضية الاتباع، اتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يحوم حول حديث النبي ﷺ: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله و سُنتي)[١].

ولم يتطرق إلى الحديث عن الخرافات والأباطيل المنتشرة في القرية، ولكنه كان يضع حجر الأساس الذي سيبني عليه كلَّ جهوده الدعوية، كما أوضح أن معنى الإسلام هو الاستسلام لله تبارك وتعالى، وأنه لا قول بعد قول الله ورسوله، ينطلق من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وساق في هذا المقام نماذج عظيمة من سير أنبياء الله تعالى وصحابة النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وصالحي هذه الأمة.

وبعد الانتهاء من الصلاة أقبل المصلون يرحِّبون بالشيخ بحرارة ومودة، ويهنئونه على ذلك المستوى غير المعهود في خطبة الجمعة لهذا المسجد، كما دعا له الشيوخ الكبار أن يبارك الله في لسانه الفصيح الناطق بالحق.

وأما صلاح فقد تهلَّل وجهُه فرحًا، وهنأ الشيخ وعزَّفه بنفسه ودعاه إلى منزله إلا أن الشيخ قد اعتذر بلطف على أن يلبي الدعوة في وقت لاحق، فانطلق صلاح إلى منزله فرحًا يحدوه الأمل في أن يجريَ اللهُ الخيرَ على يد هذا الإمام الجديد.

---

(١) أخرجه مالك مرسلاً والحاكم مسندا وصححه، وانظر: السلسلة الصحيحة (١٧٦١)، وصحيح الجامع (٢٩٣٧).

البرهان الأعمى:

على سريره كان الأستاذ عبد الرحمن الموظف بالشهر العقاري بقنا يئِنُّ من ألم الكُلى، والذي أصابه من عدة سنوات، وما إن خفَّتْ وطأة الألم قليلًا حتى أتاه زائر، لقد كان ابن عمه وصديقه "شوقي" أتى لكي يطمئن عليه في نوبة مرضه هذه.

جلس بجانبه وتجاذبَا أطراف الحديث حول المرض والعلاج والأطباء، فإذا بالأستاذ عبد الرحمن يسمع من ابن عمه ما ثارت به ثائرته: لماذا لا تجرِّب شجرة الغريب يا عبد الرحمن؟

نزلت الكلمة كالصاعقة على رأس عبد الرحمن، وهبَّ كأنه نشِطَ من عِقَالٍ وتناسى مرضه، وقال في انزعاج: ماذا؟ تريدني أن أقلِّدَ هؤلاء الجَهَلَةَ، ماذا سيقول عني أبنائي وجيراني والناس جميعًا؟ أرمي بالتعليم والثقافة عرض الحائط وأستجيب لهذه الترهات؟ هل فقدت عقلك يا شوقي؟

شوقي: هدِّئْ من رَوْعِك يا صديقي، لقد سمعت فقط بتحسُّنٍ من جربوا تربتها وأغصانها، أحببت أن تجرب مثلهم، لكن لا عليك كأنك لم تسمعها.

وما إن خرج شوقي من منزل الأستاذ عبد الرحمن حتى دخلت عليه زوجته والتي التقطت طرفًا من حديثهما فهتفت: وماذا في الأمر يا عبد الرحمن؟ جرِّب؛ لن تخسر شيئًا؟

عبد الرحمن: هل جننتِ أنت أيضًا يا رضوى؟ تريدين من عبد الرحمن مخيون والذي على وشك أن يكون مديرًا للشهر العقاري أن يقوم بهذه التفاهات؟! ماذا ألمَّ بك؟ هل جننتِ؟!

يا عبد الرحمن كفى عنادًا، أنسيت أنها كانت سببًا في إنجاب زوجة رجب بعد سنة من الذهاب والإياب إلى الأطباء؟ أليس في هذا برهانٌ على صحة ما أقول بشأن شجرة الغريب؟

قاطعها عبد الرحمن: كفى لا أريد أن أسمع هذا الكلام في بيتي مرة أخرى، خرجت الزوجة وهي تتمتم بكلمات خافتة وتركت عبد الرحمن في ثورته.

في الوقت ذاته كان رجب وأهل بيته في سعادة تغمُرهم جميعًا بعد أن ولدت زوجته صبيًّا جميلًا، فأقاموا احتفالًا كبيرًا من أجل ذلك ودعَوْا إليه الأهل والأقارب، وفي مكان اجتماع الرجال للاحتفال كان الجميع يهنئ رجب بمولوده الأول.

رجب: الحمد لله على هذه النعمة، والبَرَكَةُ في شجرة الغريب.

أحد الحاضرين: بالتأكيد يا رجب لم يقصدها أحد إلا وقد قضيت حاجته.

آخر: لقد كانت تجارتي كاسدة، ودلني أحد الأفاضل على شجرة الغريب، فما هو إلا أربعة أشهر حتى فتحت عليَّ الأرزاق من حيث لا أدري والحمد لله.

رجب: وبعد كل هذه الأدلة يأتي من هم أمثال الفتى صلاح والأستاذ عبد الرحمن، ويقولون إنها خرافات، ضحِك الجميع بصوت مرتفع، فقد كان كل منهم في قراره نفسه يريد برهانًا من غيره وقد كان.

الجريمة:

شخصٌ ما يتسلل في الظلام الدامس إلى أطراف القرية، يتلفت يمينًا وشمالًا خشية أن يراه أحد، ولم ينسَ أن يتلفع بعباءةٍ سوداء تجعل من يراه من بعيد لا يعرف هُويَّته.

اقترب من شجرة الغريب يبغي تعليق شيءٍ من ثيابه عليها، وهمَّ بأخذ حِفْنَةٍ من تربتها، إلا أنه قد استوقفه صوت تناهى إلى سمعه من مكان منحدر خلف التبة التي تشخص فيها الشجرة، فتسمَّر في مكانه عندما ميَّز أصحاب الأصوات:

موسى: افهموني، لقد آثرت أن نجتمع في هذا المكان في جُنح الليل؛ لأنه من المستحيل أن يرد على هذا المكان أحدٌ في هذا الوقت، فما نتحدث فيه اليوم ينبغي الاحتياط له حتى لا ينكشف تنظيمُنا السري.

أثارت الكلمات فضول الرجل المنصت ولهفته للتعرف على بقية الحوار، فأصغى سمعه:

سعيد: يا أستاذ موسى، أرى أنك تبالغ في السرية والاحتياطات، نحن ننفذ الخطط بدقة متناهية يستحيل معها انكشاف أمرنا، هل نسيت

أمر الصورة التي رآها الناس ولم يدركوا أنها صورة وهمية صنعناها نحن بفضل التقنية العالية التي زوَّدنها بها الزعيم؟

اتَّسعتْ حدقتا الرجل وهو يواصل الإصغاء في انتباه:

موسى: نعم يا سعيد، نحن ننفذ بدقة وسرية ولكن لن يضرَّنا مزيدٌ من الحرص والسرية، أنتم تعرفون خطورة انكشاف شبكتنا، ولذلك يؤكد القادة على توخِّي الحرص والحذر في كل صغيرة وكبيرة.

وتابع موسى: هناك بعض التعليمات بخصوص إقامة الطرق الصوفية في القرية وتشجيعها، ومن ثم ا ختراقها ونشر أفكارنا من خلالها.

تدخل أحد أعضاء الفرقة الجدد: ولِمَ نتخذ الفكر الصوفي ستارًا؟ لماذا لا ندعو مباشرة لأفكارنا؟

ضغط موسى على أسنانه وهو يقول: حسنًا، بما أنك قد التحقت مجددًا بالفرقة فسأعيد ذكر ما يعرفه زملاؤك: طبيعة المجتمع المصري لا تقبل النشر المباشر لأفكارنا، وهذا ثابت بالتاريخ، وأقرب الشرائح لدينا في مصر هم الصوفية، والدليل على ذلك أن أقطاب التصوف وأعلام الصوفية كالبدوي والدسوقي وغيرهما قد جاءوا مصر خصيصًا لنشر أفكارنا؟

كان الحديث تتصاعد أهميته بالنسبة للرجل الذي يتنصت على موسى ورفاقه، وكان في شَغَفٍ لمعرفة المزيد من هذه المعلومات الخطِرة، ولكن في هذه

اللحظة التي وصلت إليها عبارة موسى الأخيرة حدث ما لم يكن بالحُسبان.

دقَّ جرس الهاتف الجوال للرجل والذي جعلت الفريق بأكمله ينتفض من مكانه إلى مصدر الصوت، والتفُّوا حول صاحبه، وكانت المفاجأة

موسى: الأستاذ عبد الرحمن؟ ما الذي أتى بك إلى هنا.

عبد الرحمن: ساقتني الأقدار إلى هنا حتى أكشف ألاعيبكم القذرة للناس، إلى أي جهة تنتمون؟ أخبروني.

نظر الجميع بعضُهم إلى بعض في صمتٍ وخوفٍ شقَّه صوت سعيد: ما الذي سمعته يا أستاذ عبد الرحمن؟

عبد الرحمن: سمِعت كلَّ شيء أيها الخونة، إلى حساب من تعملون؟ سوف أفضحكم على رؤوس الأشهاد، ولم يكد يكمل عباراته حتى هجم عليه اثنان من الخلف يكبلان حركته، وكمَّم الثالث فمَ الرجل بمنديل حتى لا يصرخ، وقد اتسعت عيناه إلى آخرهما وهو يرى شيئًا يلتمع في الظلام على نور القمر، وما هي إلا ثوان معدودة حتى غرس موسى خنجر الغدر في قلب الرجل البريء.

وقف الجميع بُرْهةً لا يتكلمون، فشق موسى صمتهم بقوله: هيا، احفروا له حفرة وعمِّقوها قدر استطاعتكم، فسارع الفريق لاستكمال جريمتهم وطمس معالمها في تربة الشجرة، شجرة الغريب.

إشارة يفهمها اللبيب:

(لقد كان حبُّ الصحابة لرسول الله ﷺ شيئًا تعجز الكلمات عن التعبير عنه، فإذا توضأ تسابقوا إلى ما يتساقط منه من ماء الوضوء، وإذا تنخم لم تقع نخامته على الأرض بل في كفِّ أحدهم، يلتمسون البَرَكَة في آثار الرسول الكريم، وأُتي النبي ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: (يا غلام أتأذن أن أعطيه الأشياخ)؟ فقال: ما كنت لأوثر بفضلٍ منك أحدًا يا رسول الله فأعطاه إياه [١].

حتى الغلام الصغير يحرص على آثار النبي ﷺ من فرط حبه له، يلتمس البَرَكَة فيها؛ لأنها آثار مَن؟ آثار خير مَن وطأت قدماه الثرى، آثار مَن وضع الله تعالى فيه البركة).

كان هذا مقطع من خطبة رائعة عن محبة الرسول ﷺ ألقاها الشيخ "بدر"، وقد تأثر بها الجميع، وذرَف بعضهم الدموع، وتفاعلوا مع الخطبة أيّما تفاعل، وبعد الصلاة استوقف الشيخ المصلين قبل أن يغادروا المسجد للتعقيب على موضوع الخطبة:

(فليَعْلم الجميع أن التبَرُّك بآثار النبي ﷺ جائزٌ، فقد أقرهم النبي ﷺ على ذلك، ولكن ذلك خاص به ﷺ، فلا يجوز التبَرُّك بآثار الصالحين غيره).

---

(١) رواه البخاري، كتاب المساقاة - الشرب، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة مقسوما، (٢٢٢٤).

تدخَّل أحدُهم: ولماذا يا شيخنا، ما الذي يمنع التبَرُّك بآثار الصالحين غيره؟

أجاب الشيخ: لأنَّ الله تعالى اختص بذلك نبيه وجعل في ذاته البركة، وأقر النبي ﷺ أصحابه على التبَرُّك به وبآثاره يوم كان حيًّا وأذِن لهم بذلك الإقرار، أما غيره ﷺ فمن يقرنا على التبَرُّك بهم، لذلك لم يتبرك الصحابة ولا التابعون مثلًا بآثار أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي وغيرهم من صحابة النبي ﷺ، مع أنهم أحرصُ الناس على الخير، بل إن عمر الفاروق ﷺ في بعض الفتوحات عمَّى قبر النبي "دانيال" حتى لا يتبرَّك الناس به.

والصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يتبركوا بالمواضع التي كان النبي ﷺ يجلس فيها، فلم نسمع أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يتبركون مثلًا بغار حراء الذي كان النبي ﷺ يتحنَّث فيه قبل نزول الوحي.

وأما بعد وفاته ﷺ وانعدام آثاره فلا يجوز التبَرُّك والتمسُّح بقبره ... نظر الناس بعضهم إلى بعض في استنكار، فتدخل أحدهم قائلًا: كيف يا شيخ؟ أليس قبر النبي ﷺ بقعة مباركة، وفي حدود علمي أن عمر طلب أن يدفن مع صاحبيه النبي ﷺ وأبي بكر.

أعجبَ التعليق جموع المصلين فتبسَّمَ الشيخ "بدر" وقال في هدوء: أحسنت في عرضك للكلام، ولكني أجيبك بأن عمر فعل ذلك طلبًا في الصحبة وليس طلبًا للبركة، ودليلي ما سقته أنت: أن يدفن مع صاحبيه،

أي كانت الصحبة هي المطلوب، وإذا كان فعله التماسًا للبركة فكيف تؤثره عائشة على نفسها وهي التي كانت ترجو أن تدفن مع زوجها وأبيها، هل تؤثره بالبَرَكَة والطاعة على نفسها؟ لم يكن هذا من هَدْي الصحابة أن يؤثروا أحدًا على أنفسهم في طاعة الله، فقد كانوا سبَّاقين مسارعين في الخيرات متنافسين فيها.

هزَّ الناس رؤوسهم في إعجاب من ذلك الردِّ الذي تقبله العقول، فتابع الشيخ: وأسألكم سؤالًا: أيُّ الناس أحرصُ على الخير والطاعة والبَرَكَة صحابة النبي ﷺ أم سائر الناس في شتى العصور؟ أجاب الجميع في صوت واحد: الصحابة بالطبع.

الشيخ بدر: أحسنتم، فأسألكم سؤالًا آخر: هل سمعتم بأن صحابة النبي ﷺ كانوا يتمسحون بقبره ويلتمسون البَرَكَة فيه؟ أتحدَّى أيَّ إنسان أن يأتيَ بما يدل على ذلك من الآثار الصحيحة، فلذلك التبَرُّك بالنبي ﷺ في حياته بدعائه بوضوئه، بشعره، ...، أما بعد وفاته وزوال آثاره فلا، وأما الصالحون غيره فيجوز التبَرُّك بمجالستهم ودعائهم ووعظهم.

خرج الناس بعد اللقاء وهم يتناولون موضوع الخطبة والتعليق عليها، ما بين مؤيِّدٍ ومقتنع - وهم كُثر - وبين رافض متهكِّم وكان موسى ورفاقه من أبرز المعارضين.

ولكنَّ إثارة هذا الموضوع كانت مجرد إشارة من الشيخ "بدر" لشيء آخر يرمي إليه، كانت إشارة يفهمها اللبيب.

المؤامرة:

كان حديثُ القرية في هذه الآونة عن الأستاذ عبد الرحمن الذي اختفى فجأة، ولم يدَع أهله بالتعاون مع سكان القرية مكانًا إلا وبحثوا فيه، بل امتد البحث ليشمل مستشفيات وأقسام الشرطة التابعة لمحافظة قنا بكل مُدنها وقراها، ولكنهم لم يتوصلوا إلى مكانه، وأشارت أصابع الاتهام إلى بعض أقاربه لنزاع حدث بينهم على ميراث، إلا أن أحدًا منهم لم يمتلك دليلًا على ذلك.

وقاد الشيخ "بدر" حملة البحث بنفسه، فرفعت أسهُمَه لدى سكان القرية رغم أنهم لم يعثروا على الرجل، ومع مرور الأيام ازدادت محبة الناس له، فصار يتصدَّر المجالس لحل مشكلات الناس، والإصلاح بينهم، ولم يعُدْ هناك من عُرْس أو وليمة أو مناسبة سارة إلا ودُعِيَ إليها الشيخ "بدر".

وصارت القلوب تهفو إليه بحسن خُلُقه وصبره وحلمه وسَعَةِ صدره، وذلك الإخلاص في الكلمة الذي يتوسَّمه فيه كلُّ من سمعه.

ولم يفُتِ الشيخَ بدر بطبيعة الحال أن يتفقد أهل المفقود، بل كان يمر على أعيان البلدة لجمع المال، وقام بافتتاح محل لتجارة المواد الغذائية، وعيَّن

فيه شابًّا براتب شهري، وكان في نهاية كل أسبوع يقوم بمراجعة الحسابات بنفسه، ويرسل الأرباح إلى أسرة الأستاذ عبد الرحمن.

كان أهل القرية سعداء بذلك الشخص المِعْطاءِ إلا ثلة من الأشرار لم يرُقْ لهم الأمر، كانوا يشعرون بأن هذا الشيخ في طريقه إلى تنوير الناس وهو بذلك يقف في طريق نشر مذهبهم، فلئن كان يحارب الخرافات فكيف سيفعل مع نشر مذهب كمذهبهم له أبعاده السياسية.

موسى: لقد بدأ القلق ينتابني فعلًا من ذلك الرجل.

أحد أعوانه: والعجيب أن الناس صاروا يُودِعُونه الثقة المتناهية، لست أدري ماذا فعل بهم؟!

آخر: ولكن ألم تلاحظوا أنه لم يتحدث مطلقًا عن شجرة الغريب؟ برأيكم لماذا؟

موسى: إما أنه يتجنب الصدام مع أهل القرية، أو أنه يمهِّد لذلك بأحاديثه عن الأولياء والأضرحة.

سكت موسى برهة ثم التمعت عيناه بخُبث وهو يستطرد: ولكننا لن نمهله.

أحد أتباعه: ماذا سنفعل؟

أجاب موسى في جزل: سنفجِّر موضوع شجرة الغريب في المسجد في درسه الذي يعقده مساء الجمعة، وأنتم تعلمون جيدًا ما الذي تعنيه شجرة الغريب لدى سكان القرية، قالها ثم انطلق ضاحكًا وقد شعر بأنهم ظفروا بالشيخ.

ابن القرية:

اجتمع الشيخ بدر على مائدة الغداء في دار والد الدكتور صلاح، حيث إن العلاقة بينهم قد توطدت إلى حدٍّ بعيد، فلم يكن صلاح ووالده أمام رجل علم ودعوة في المساجد وحسب، ولكنهم وجدوا فيه شابًّا مثقفًا واعيًا معتدلًا واسع الأفق متحضرًا، لا يشعر أحد من الناس من كافة الشرائح بأية فجوة أو حاجز بينه وبين بدر.

والد صلاح: معنى كلامك يا ولدي أنك تقيم وحدك بعد وفاة والدتك، وليس لك أحد من العائلة إطلاقًا؟

بدر: نعم يا عم؛ لأننا في الأصل لسنا من سكان قنا، لقد كان جَدِّي مسيحيًّا من القاهرة، ونزح إلى قنا بعد إسلامه وتزوَّج منها ولم يُنجِبْ سوى أبي، والذي تزوج من فتاة وحيدة، كانت هي أمي، ثم تُوفِّي وأنا في الثامنة من عُمُري، وأما والدتي فقد تُوفِّيَت منذ عامَيْن.

صلاح: ما أروع قصةَ كفاحك يا بدر، إنني أشعر أن الله تعالى قد بعث لي أخًا أكبر لم أكن أحلم بمثله في يوم من الأيام.

بدر: شعور متبادل يا صلاح، وعلِمَ الله أنني أحببتكم وأودُّ لو كنت من أبناء هذه القرية.

الوالد: تود؟ أنت بالفعل منها يا بني، لقد دخلت قلوبنا منذ رأيناك، اعتبرنا عائلتك وأهلك.

بدر: حديثك يا عم قد شجعني على أن أطلب منكم طلبًا أعرف أنه قد يكون كثيرًا عليَّ.

صلاح: بالطبع يا بدر، أليس كذلك يا أبي؟

الوالد: بكل تأكيد يا ولدي، اطلب ما بدا لك.

بدر: إنني أطلب منكم يد كريمتكم عفاف، خيَّم الصمت على صلاح ووالده وكأنهما لم يتوقعا ذلك المطلب، إلا أنه شقَّ صمتهما بقوله: لا أريد ردًّا الآن يا عمي، أعرف أنني غريب عنكم، ولست من عائلة مرموقة تليق بمصاهرتكم، غير أنني لن أجد فتاة أفضل من زهرة نشأت في هذا البستان الطاهر، وإذا لم يقدر الله تعالى الارتباط بكم، فأرجو ألا يؤثر ذلك على علاقتي بكم، فأنتم بالفعل أهلي.

ابتسم والد صلاح قائلًا: بالفعل يا ولدي، ولكن امنحنا فرصة للتفكير.

انصرف بعدها الشيخ بدر، وترك الوالد وولده يتشاوران في طلب بدر.

الوالد: ما رأيك؟

صلاح وهو يغمز بعينه: توكل على الله.

الوالد: هذا أيضًا رأيي، لكن يبقى رأي عفاف، ويبقى كذلك أن تذهب إلى قنا وتسأل عنه جيدًا، في الأوقاف، وفي مكانه الذي كان يسكن فيه.

صلاح: حسنًا يا أبي سأفعل إن شاء الله.

عبق الماضي:

حدَّقَ أهلُ القرية في تلك السيارة الفاخرة التي تقل زائرًا غريبًا، قد ارتدى نظارة شمسية تعكس مع ملامحه الشقراء صورة رجل من الوُجهاء.

سأل ذلك الزائر الغريب عن بيت عُمْدة القرية، فاستقلَّ أحدهم معه السيارة يقوده إلى حيث يريد، وما هي إلا دقيقتانِ حتى كان الغريب يقِف أمام بيت عمدة القرية، والذي استقبله بحفاوة وكرم معهودين من أهل الصعيد، وما لبِث أن عرَّفه الزائر بنفسه: دكتور أحمد منصور، باحث في التاريخ.

العمدة: أهلًا بك ومرحبًا، حللت أهلًا ونزلت سهلًا، البلدة بلدتك والدار دارك، ولكن هل من خدمة أستطيع تأديتها لك يا دكتور؟

دكتور أحمد: الأمر يتعلق بموضوع تاريخي بالغ الأهمية، ليس لي وحدي، ولكن لأهل القرية أيضًا.

العمدة: أي موضوع؟

الدكتور أحمد: دعني أحكي لك من البداية، منذ ...

قاطعه العمدة قائلًا: معذرة، قبل أن تبدأ في حديثك هل يمكنني دعوة شخصين يسمعانِ معي ما تقول؟ هم من خيرة الشباب المثقف الواعي، وأحب في مسألة كهذه أن يكونا معنا.

مطَّ الدكتور شفتيه قائلًا: بكل سرور، لا مانع لديَّ مطلقًا، وما هي إلا نصف الساعة حتى كان بين أيديهما الشيخ "بدر"، والدكتور صلاح الذي حصل حديثًا على بكالوريوس الطب، وعمل في مستشفى بقنا، وكانت الساعة قد تجاوزت الثامنة ليلًا.

استأنف الدكتور حديثه مع الجميع: في عهد محمد علي باشا، وتحديدًا عام ١٨١١م، حدثت مذبحة عظيمة تسمى مذبحة القلعة، هزَّ الشابان رأسهما دلالة على معرفتهما بهذه الأحداث التاريخية جيدًا، فتابع الدكتور: دبرها محمد علي لخصومه من المماليك لكي يتخلص منهم قبل سفر والده إلى الجزيرة للقضاء على دعوة محمد بن عبد الوهاب.

هذه المذبحة نجا منها البعض، كان من بينهم أحمد بك الخازندار، هنا قاطعه الشيخ "بدر"، عفوًا يا دكتور، معلوماتي أن الذي نجا منها مراد بك وفر إلى الشام، و..

قاطعه الدكتور بدوره: أحسنت، لكن هناك روايات تاريخية أخرى غير مشهورة، تفيد بأن هناك أميرًا مملوكيًا يدعى أحمد الخازندار لم يحضر

المذبحة حيث كانت زوجته تضع حملها، ولما علم بها فرَّ إلى الصعيد وتحديدًا إلى قنا.

اتسعت عيون الجميع إزاء هذه المعلومة الجديدة، فاستطرد الدكتور أحمد: وتابعته فرقة من جنود محمد علي باشا تريد القضاء عليه، بعدما فر مع زوجته ووليده في نفس يوم الولادة على حصان واحد، وماتت زوجته في الطريق وعثرت قافلة تجارية على جثتها بعدما تركها الجنود للحاق بالأمير المملوكي، وقام رجال القافلة بدفنها كما أشارت الروايات التاريخية.

سأله العمدة: وماذا كان مصير أحمد بك هذا؟

الدكتور أحمد: بعد البحث والتدقيق، توصل الباحثون إلى أن أحمد بك قد وصل إلى قرية من ثلاث، القرية التي تقع قَبْلَكم، والأخرى التي تقع بَعْدَكم، ثم صمت برهة، ونظر في عيون الحاضرين قائلًا: وقريتكم هذه.

الدكتور صلاح: وهل توصلت إلى تحديد مكان نزوله؟

الدكتور أحمد: لا أُخفي سرًّا، قد كان أمرًا بالغ الصعوبة؛ لأن الناس في هذه القرى لو كانوا يعرفون شيئًا عنه لحُلت القضية، ولكن ...

قطع حديثه صوت أحد الخفراء وهو ينادي عمدة القرية لاهثًا: حريق ضخم يا سيدي العمدة، حريق في مخزن الغلال نشب في البيوت المجاورة.

عذاب الضمير:

دخل ذلك الرجل المقنَّع بعباءة سوداء على مصطفى، أحد أتباع موسى، والذي كان يغُطُّ في نومه، فربت على يده في عنف، فقام من نومه فزعًا يقول: من أنت؟ وماذا تريد مني؟

ضحك الرجل المقنع وهو يقول: ألا تعرفني يا مصطفى، ثم كشف عن وجهه، فتراجع مصطفى في ذُعر وهو يقول: أنت؟ غير معقول، أنت ...

أجابه المقنَّع: أنا ميت أليس هذا ما تريد قوله؟

مصطفى: أنا لم أقتلك، موسى هو الذي فعل، وإبراهيم وعرفان هما مَن قيدك، قاطعه الأستاذ عبد الرحمن: وأنت تستَّرت على الجريمة، ثم اقترب مِن مصطفى ووضع يده على رقبته وضغط بكل قوته، و ...

أفاق مصطفى فزِعًا من نومه وهو يمسك برقبته، وظل يلهث ويتنفس بصعوبة، وزوجته تهدِّئ من رَوْعه، وهي تقول: الكابوس مرة أخرى يا مصطفى؟ أخبرتك ألا تكثر من الطعام قبل النوم.

سكتتْ برهة ثم تابعت في حذر: ولكنك تقول أثناء نومك في كل مرة لست أنا من قتلك، ماذا ترى يا مصطفى؟

صفعها مصطفى على وجهها وهو يقول: إيَّاكِ أن تتحدثي بهذا الأمر، إنه مجرد كابوس، ارتاعت المرأة وهي تمسك بخدها قائلة: حسنًا، حسنًا لن أخبر أحدًا.

قام مصطفى من فراشه ووقف في شرفة منزله وهو يحدِّث نفسه: متى سينتهي هذا العذاب؟ أحلام تلاحقني ولكنها تكاد تقتلني، لم أعد أتحمل، لماذا يأتيني أنا بالذات، مع أنني لم تمتدَّ يداي إليه.

ثم عضَّ على أنامله فاستطرد: أيعقل هذا؟ القتلة ينامون ملء جفونهم، وأنا لم تمتد يداي إليه ومحرَّم علي أن أهنأ بنومي؟ ليتني لم أكن معهم، ليتني ما انضممت إلى هذه المجموعة المشبوهة، اللعنة على إغراءاتهم ووعودهم، ياربِّ نجِّني مما أنا فيه، هل أعترف على نفسي وعليهم وألقى مصيري وجزائي؟ لا لا، مستقبلي ومستقبل أسرتي سيدمر، إذن، ماذا أفعل، ماذا أفعل؟

قطَعَه من الاستغراق في التفكير تلك النارُ التي تصاعدت من ناحية مخزن الغلال، وتناهى إلى سمعه صوت الناس يصرخون مُعلنين وقوع الحريق، فنزل مُسرعًا إلى حيث يذهب الناس.

وأمام مخزن الغلال والبيوت المجاورة التي نشب فيها الحريق، كانت ملحمة عظيمة من التكاتف والتلاحُم والتعاون، سطرها أهل القرية في إنقاذ ساكني البيوت وإطفاء الحريق، ولقد أبلى الشيخ بدر والدكتور صلاح بلاءً حسنًا في جُرأة يُحسدان عليها، واشترك معهم مصطفى والذي تفانى في بذل جهده، وكأنه يكفِّر عن شيءٍ من خطاياه بحق هذه القرية.

وتمت السيطرة على الموقف تمامًا ولم تقع خسائر في الأرواح، ووجَّه الشيخ بدر الشكر إلى مصطفى على جُرأته وبذله قائلًا: مِن حُسْنِ حظِّ هذه القرية أن بها شبابًا مثلك يا مصطفى، يعرِّضون أنفسهم للخطر من أجل الآخرين، ويحافظون على أرواح الناس.

وقعت الكلمات على قلب مصطفى وكأنها تقريِّع وسباب لا مدح وثناء، ووَدَّ لو صرخ أمام الناس بأنه مجرم، لكنه اكتفى بالصمت دون أن يعلِّق بكلمة، واستدار قافلًا إلى بيته.

قلادة الأميرة:

وفي الليلة التالية اجتمع في منزل العمدة كلٌّ من الدكتور أحمد الباحث التاريخي، والدكتور صلاح ومعهم الشيخ بدر، لكي يكملوا ما بدأه الدكتور من الحديث عن الأمير الملوكي الهارب.

الدكتور أحمد: لقد نزلت القريتيْنِ لعلي أتعرف على بعض المشاهد الأثرية، أو الأماكن التي تتعلق بها أحداث تاريخية، لكنني لم أجد في إحداهما سوى ضريحًا لرجل مات في منتصف القرن التاسع عشر، ووجدت في القرية الأخرى روايات متناثرة عن منزل لكاتب في ديوان ملك الصعيد همام بن يوسف قد فرَّ إلى هذا المكان بعد وفاة همام، وقيل إنه عاش في ذلك البيت سنتين ثم مات.

الشيخ بدر: إذن، لم يبق سوى هذه القرية، أليس كذلك؟

ابتسم الدكتور أحمد وهو يقول: نعم، ولقد جمعت معلومات عن قريتكم هذه في تلك الجوانب، ولم أجد تذكارًا للماضي سوى تلك الشجرة التي تُطلقون عليها شجرة الغريب.

اتسعتْ عيون الجميع في دهشة، فتدخل العمدة قائلًا: وما للشجرة بموضوع الأمير؟! إنها شجرة مباركة، لها منزلة كبيرة لدينا، ولها أسرار في أصلها.

سأله الدكتور أحمد: أي أسرار؟!.

العمدة: سمعنا من الآباء والأجداد بأن رجلًا غريبًا قد نزل قريتنا عند تلك الشجرة والتي سميت باسمه، ويقال أنه كان من أولياء الله الصالحين أصحاب الأسرار، وأنه قد دفن في أصلها أسرارًا سوف تصيب اللعنةُ كلَّ من يحاول التعرف عليها، فصارت هذه الشجرة مباركةً، جرَّبها الناس في الاستشفاء والتداوي والإنجاب والزواج وفي أمور كثيرة.

اتسعت عينا الدكتور أحمد وهو يفكر بعمق، أما الدكتور صلاح فقال: يا سيدي كيف تصدِّق هذا الهُراء؟ لعله دجال أو رجل ليس في كامل قواه العقلية.

تهكَّمَ العمدة على حديث صلاح وأردف: دجال؟ الذي لا تعرفه يا صلاح يا ولدي أن ذلك الغريب يظهر من فترة لأخرى عند تلك الشجرة

وكأنه يحذِّر مجددًا من الاقتراب من أسرارها، ولعلك سمعت بما حدث مع سعيد منذ فترة قليلة، لقد رأى ومعه عدد ليس بالقليل من أهل القرية ذلك الغريب يظهر على الشجرة، ثم تقول بأن هذا دجل؟!

كان الشيخ بدر يستمع بهدوء إلى الحديث، ووجد أنه قد حان الوقت لكي يبدأ مع الناس في وَأْدِ هذه الاعتقادات المتعلقة بشجرة الغريب، فلقد ساءَه تعلُّقُ الناس بها، ورأى أنه مهَّد لهم بما يكفي في جانب التبَرُّك بآثار الصالحين والتبَرُّك بالأحجار ونحوه، وآن الأوان لكي يطرق هذه الموضوع الشائك لدى أهل القرية.

انتزعه من الاستغراق في تفكيره كلماتُ الدكتور أحمد وهو يقول: لو صحَّ ظنِّي قد يكون هذا الغريب هو أحمد بك الخازندار نفسه.

الدكتور صلاح: ألم تقل بأن الأمير المملوكي قد خرج هاربًا بصحبة زوجته وولده؟ فأين ذهب الرضيع؟

الدكتور أحمد: لم يعرف أحدٌ عنه شيئًا، ليس هو فحسب، وأيضًا قلادة الأميرة جولنار.

انتبهت حواس الجميع فتدخل العمدة: أي قلادة؟

الدكتور أحمد: قلادة زوجة الأمير المملوكي أحمد الخازندار، قلادة كبيرة من الذهب الخالص منقوش عليها اسميهما معًا، وبحسب ما تناقله

الناس عن وصيفتها، أنها سمعت أحمد بك الخازندار قبل الهروب يحدث زوجته بإخفاء خريطة صغيرة الحجم في القلادة.

اتسعتْ عينا العمدة وهو يقول: أي خريطة؟

الدكتور أحمد: خريطة لكنوز وأموال أحمد بك التي كان قد خبَّأها قبل المذبحة، حيث كان يستشعر الخطر من جانب محمد علي باشا.

صمت الجميع فشقَّ صمتَهم كلامُ الدكتور أحمد: فلو كان الغريب هو الأميرَ، فإنه يكون قد خبأ القلادة في مكان الشجرة، وساعتها سيكون كشفًا تاريخيًا هامًا أن نعرف مصير ذلك الأمير مجهول المصير.

ثم أردف في حماس: سعادةَ العمدة إنني أعرض عليك ثلاثة أرباع ذلك الكنز إن وجدناه، ولا شك أن ذلك قد يُحدث نقلة بعيدة في أحوال قريتك.

تدخل العمدة في لهفة: وكيف سنعرف أنه هو الأمير أم لا؟

الدكتور أحمد: نحفر في أصل الشجرة.

هنا انتفض العمدة كالملدوغ وهبَّ واقفًا: ماذا تقول؟ إيَّاك أن تكرر هذا الكلام، سأعتبر أنني لم أسمع شيئًا، لك من الضيافة ثلاثة أيام، وبعدها لا شيء لك عندي، قالها العمدة تاركًا المَضْيَفة التي أعدها للدكتور أحمد للمَبِيت فيها، بينما غرق الثلاثة في الصمت والتفكير.

استأذن بدر وصلاح من الدكتور أحمد للانصراف، وفي الطريق:

بدر: صلاح، لم تقل لي ما رأي العروس، أرجو أن يكون القبول قد وُجد لديها كما حدث معي، رغم أنني قد جلست معها لدقائق معدودة في زيارة الخطبة.

صلاح: نعم يا بدر أبشر، لقد دخلتَ قلوب الجميع، لقد كنت أنوي أن أخبرك بأن أبي يدعوك بعد غد للكلام في تفاصيل الزواج.

بدر: على بركة الله.

الزوبعة:

في درس مساء الجمعة، أمسك الشيخ بدر بعصا صغيرة، وهو يقول للحاضرين: هذه عصا مباركة، من يشتريها بعشرة آلاف جنيه؟

ضحك الجميع في وقت واحد، وهم يسمعون هذه الدُّعابة من الشيخ، إلا أنه بعدما تبسَّم أعاد عليهم الكلام، وقال لماذا لا تصدقوني إنها مباركة؟

تدخل أحد الحضور: وما يدريك يا فضيلة الشيخ أنها مباركة، هنا تهلَّل وجه الشيخ وهو يصيح: أحسنت، سؤال رائع، لديك حق، ما الذي يدريني أنها مباركة.

كان موسى ورفاقه قد أتوا إلى اللقاء خصيصًا لكي يفجّروا موضوع شجرة الغريب لإثارة الناس وتأليبهم على الشيخ بدر، إلا أنهم إزاء هذه المقدمة التي ابتكرها الشيخ، ظلوا صامتين يفكرون في هذا الكلام العجيب، وما المراد منه، إلا أن الشيخ لم يمهلهم فاستطرد: هل توافقون على سؤال أخيكم هذا؟ أجاب الجميع بصوت واحد: نعم، ما الذي يدريك أنها مباركة؟

أجاب الشيخ: البَرَكَةُ شيء يضعها الله حيث يشاء أليس كذلك؟ أجابوا: نعم، فأردف الشيخ: والوسيلة لمعرفة موضع البَرَكَة يكون بالوحي من عند الله، أليس كذلك؟ أجابوا بصوت خافت وكأنهم يترقبون بوجل ما بعد هذه الكلمات: بلى.

هنا أخذ الشيخ نفسًا عميقًا وقال بهدوء: إذن، يا أهل القرية الأحباب: ما الذي يدرينا بأن شجرة الغريب شجرة مباركة نلتمس فيها البركة، ونستشفي بتربتها، ونعلق عليها ثيابنا ابتغاء الرزق أو الشفاء أو الولد أو الزواج؟

صمت الجميع ونظر بعضهم إلى بعض، لا يدرون ماذا يقولون، إلا أن رجلًا منهم قال: هكذا أخبرنا الآباء والأجداد.

قال الجميع: نعم نعم، فأجابهم الشيخ: إذن؛ فلتعبدوا الأوثان، تعالت الهمهمات باستنكار، قال أحدهم: ماذا تقول يا شيخ؟

الشيخ: لقد كان أجدادكم الفراعنة في هذه المناطق يعبدون الأصنام، ويرون أن بيدها كل الخير والشر، فلماذا لا تعبدوها كما عبدها أجدادكم.

في ذلك الوقت كان موسى يهمس في أذن رفيقه سعيد: يا له من خبيث، لقد استطاع أن يمتص ثورة الناس بهذا الكلام المثير.

أحد الحضور: لأن ديننا نهانا عن ذلك، وديننا هو دين التوحيد، الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد، نحن أهل لا إله إلا الله يا شيخ.

الشيخ: أحسنت، لا نعبدها كما عبدها أجدادنا؛ لأننا نحتكم إلى الدين، هو الحاكم على تقاليد الأجداد والآباء وليس العكس.

رجب: ولكن يا شيخ التجربة أثبتت ذلك، كثير منا جرَّبها، وأنا منهم، لقد مكثت زوجتي عامًا كاملًا ولم تحمل بجنين، وبعدما جرَّبنا الشجرة حملت بعدها بثلاثة أشهر.

الشيخ: ولماذا لم تحمل بعدها مباشرة؟

رجب: كل شيء بقدر الله.

الشيخ: أحسنت، كل شيء بقدر الله، وهذا كان ميعاد حمل زوجتك فلماذا ربطت بين قدر الله وبين الشجرة كسبب؟ هل كنت تذهب بها للطبيب؟

رجب: نعم.

الشيخ: وما أدراك أنه ليس بسبب العلاج والطب؟ وعلى كل حال، تعالوا بنا نذهب إلى من يفصل بيني وبينكم في هذا الاختلاف.

قالوا: نعم، من ترتضي حكمًا؟

الشيخ: رسول الله ﷺ.

صمت الجميع وبدا المشهد وكأنها صورة فوتوغرافية قد التقطت لهم، واكتنفتهم هالة من الخشوع والسكينة بعد هذه الكلمة، فقالوا: ﷺ.

الشيخ: إن حبيبكم ﷺ قد مرَّ يومًا مع أصحابه وكان فيهم من هو حديث عهد بالإسلام، فمروا على شجرة يقال لها: ذات أنواط، كان المشركون يتبرَّكون بها، ويعلِّقون أسلحتهم عليها.

فقال حديثو العهد بالإسلام: اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما أن لهم ذاتَ أنواط، أتدرون بمَ أجابهم رسول الله ﷺ؟ قال: (الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)[1].

خيَّم الصمت على الجميع، فالكلام يمَسُّ شَغَافَ القلب بالحجة والدليل، ولكنه شيء ورِثوه ومعتقد تربَّوا عليه، صراع يدُبُّ في كيان كل منهم.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب لتركبن سنن من كان قبلكم، (٢١٨٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢١٨٠).

قطع موسى صمتهم بعصبية: وماذا تقول في صورة الغريب التي ظهرت على الشجرة، أهذه أيضًا خرافات؟

فجَّرت تلك الكلمات نبرة الاعتراض لدى الناس من جديد، ولكن الشيخ قد باغتهم بالإجابة: لماذا لا يكون شيطانًا قد تمثل في تلك الصورة حتى يُوهمَ الناس ويؤكد لديهم هذا الاعتقاد؟

لم يكن ذلك الردُّ مرضيًا لهم بما يكفي، فبدأوا يخرجون تباعًا من المسجد وقد نشب في نفوسهم الصراع بين كلمات الشيخ وبين موروث الآباء والأجداد، وأما موسى ورفاقه فقد التمعت عيونهم، وابتسموا في جزل، إلا واحدًا منهم كان مطرق الرأس، إنه مصطفى.

ويقي في المسجد الشيخ بدر والدكتور صلاح والذي قال: وما العمل يا بدر؟ أجابه الشيخ وهو مستغرقٌ في التفكير: لا تيأس، سيجعل الله بعد عسر يسرًا.

الرأي:

"دعني، لماذا أنا بالذات؟ خذ ثأرك منهم" ..

مصطفى، مصطفى، كانت زوجة مصطفى توقظه من ذلك الكابوس الذي يعتريه، فقام منه فزعًا، وهو يبكي وينتحب.

الزوجة: مصطفى أنا زوجتُك، أخبرني لو كان هناك سرٌّ في حياتك تخفيه، أنا أمُّ أولادك، ولن أرضى لك الضر، ثم ربَتَتْ على صدره فهدأ نحيبه، ثم قصَّ عليها الحكاية منذ البداية.

وفي داره الفسيحة، كان يجلس العمدة مع الدكتور أحمد وأعيان القرية، عدد كبير من الناس قد اجتمعوا في ذلك المكان، ليستمعوا إلى الباحث التاريخي وهو يسرد على أسماعهم ما ألقاه على مسمع العمدة والشيخ بدر والدكتور صلاح.

العمدة: وكما قلت لكم، القرار لكم، ولو صحت توقعات الدكتور أحمد، فسيصيبنا من هذا الأمر خير كثير.

تدخل أحدُهم: وماذا لو لم تصدق توقعاته؟

قال آخر: ستصيبنا اللعنةُ التي أخبر بها الغريب كما ذكر الآباء.

العمدة: أو تصيب الذي يحفر فقط.

سأل أحدهم: سيدي العمدة ماذا تعني؟

العمدة بخُبْثٍ: لن يقوم بالحفر سوى المتطوِّعون، أليس هناك من يقول بأن هذه مجرد خرافات؟ إذن، فهذه فرصة ليثبتوا لنا صحة كلامهم، فإن فعلوا كنا معهم في الخير سواء، وعمَّ الخيرُ على الجميع، وإن أصابهم أذى كنا بمعزل عنه.

سأل آخر: مَن تقصد بقولك يا سيدي العمدة؟.

العمدة: الشيخ بدر، والدكتور صلاح، ولعل معهم كذلك الدكتور أحمد، قالها ثم انفجر مع الآخرين في الضحك.

الدكتور أحمد وقد التمعت عيناه من الفرح: هذا هو الرأي.

الجميع: نعم هذا هو الرأي.

مائدة الشيطان:

أرخى الليل سُدُولَه، وخيَّم الظلام على القرية والتي أخلد سكانها إلى النوم، إلا أن قلوبًا مظلمة هي أشدُّ من ظلمة الليل كان أصحابُها يجتمعون على مائدة الشيطان.

موسى: هذا المدعو بدر كان دخوله شؤمًا علينا، أفسد لنا كل شيء، وأعتقد أنه لن يستسلم.

سعيد في غضب: لو أردتم رأيي، لابد وأن نقتله.

مصطفى بصرخة مكتومة: لا، ماذا تقول أيها الأبله؟ هل أدمنتم القتل، ألم يكْفِكُم ما فعلتموه بالأستاذ عبد الرحمن.

موسى وهو يمسك بتلابيب مصطفى: تقصد ما فعلناه جميعًا يا مصطفى.

أطرق مصطفى برأسه ثم رفعها قائلًا: ولكن يا موسى فكرة القتل هذه ليست صائبة.

موسى: بل أراها عينَ العقل يا مصطفى، هذا الرجل لن يسمح لأي أفكار دخيلة بالانتشار، إذا حارب الخرافات وتصدى لافتتان الناس

بالأضرحة والقبور والتبَرُّك، فماذا سيفعل عندما نقيم الحُسينيات ونُظهِرُ شعائر مذهبنا وندعو الناس إليه بصفة مباشرة؟ وحتمًا ستُقيَّد القضية ضد مجهول؛ لأنه ليس له أعداء في القرية.

سعيد: وما هي خطتك؟

موسى: طعنة في الظلام من الظهر وهو متوجه إلى مسكنه غدًا الخميس بعد صلاة العشاء.

مصطفى: حذارِ أن تفعلوا، صفعه موسى على خده، وهو يقول: اسمعني أيها الأحمق، نحن جميعًا في مركب واحد، إما أن تسير بنا ونصل، وإما أن نغرق جميعًا، هل فهمت؟

أطرق مصطفى برأسه، ثم أشاح بوجهه عنهم وهم يرسمون تفاصيل خطتهم القذرة.

ليلة الدم:

توجه بدر بصحبة صلاح إلى بيت الأخير بعد صلاة العشاء، وهنالك جلس مع صلاح وأبيه وقد شعر بدفء الجو الأسري، وازداد تعلقه بتلك الأسرة الطيبة.

بدر: عمي، لقد بعت سكني هناك في قنا، وأعتزم شراء سكن هنا في القرية.

الوالد: ولماذا تشتري سكنًا يا بني، لدينا شقة فارغة غير شقة صلاح التي سوف يتزوج بها في المستقبل، وقد كان لي ولد ثم صار لي اثنان.

بدر: عفوًا يا عمي، أستأذنك في أن أقيم بسكن من حُرِّ مالي.

صلاح مازحًا: هكذا فلتظهر على حقيقتك، تقول: أهلي أهلي، وعندما جاء أول اختبار رسبت فيه يا فضيلة الشيخ.

الوالد: لماذا يا ولدي؟ أنت ابني بالفعل، لماذا لا تريد أن تقيم بالقرب مني، وعلى كل حال طالما كانت هذه رغبتك فلا مانع لدي.

قام بدر ليستأذن في الذهاب، واصطحبه والد صلاح إلى الباب، فنظر بدر إلى الوالد الحنون لحظات، ثم قال له: عمي، أريدك أن تأخذني بحضنك الدافئ، وعلى الفور عانقه الوالد بشدة، وقد دمعت عيناه لذلك الذي يتدفق من قلبه تجاه الشاب، حتى إن المشهد قد أبكى عفاف وأمها وهما ينظران إليهما من خلف الباب.

انتشلهما صلاح من ذلك العناق الطويل وهو يخفي تأثره بذلك الموقف بمزاحه، ثم قال: هيا يا فضيلة العلامة، سوف أصطحبك إلى منزلك.

نزل الشابان وهما يتحدثان بشأن القرية وأحوالها، وما إن انتصف الطريق حتى ألح بدر على صلاح بأن يرجع، فودعه واستكمل سيره إلى سكنه.

وفي الظلام كان أحد أتباع موسى يتسلل خلف بدر ببطء متقنعًا، ثم أخرج سكينه بهدوء وطوح به في الهواء باتجاه بدر، و ...

خذ حذرك يا شيخ، قالها مصطفى وهو يندفع تجاه بدر وقد تلقى بدلًا منه طعنة غادرة، وما إن سمع بدر الصوت حتى استدار فوجد مصطفى قد غُرِزَ السكين في صدره، وأما القاتل فقد ولى هاربًا.

أسنده بدر على ذراعه وهو يصرخ: أيها الناس، النجدة، نزل الناس إثر صراخه، وتجمعوا حول مصطفى الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة، ورأسه على ذراع بدر.

مصطفى وهو يلهث في ألم: سامحوني، سامحوني جميعًا.

بدر: لا تتكلم يا مصطفى، لا تجهد نفسك سنقلك إلى المستشفى، أريد سيارة بسرعة.

مصطفى: لا وقت لدي يا شيخ بدر، فقط اسمعوني، ما أقوله أهم من حياتي بالنسبة إليكم.

احفظوا عني هذه الأسماء، أنا وموسى عبد الجليل، وسعيد مختار، و .....ظل مصطفى يعدد أسماء ثم استطرد: كلنا أعضاء في تنظيم مشبوه، يريد نشر أفكاره عن طريق اختراق الصوفية بعد تأصيل

الخرافات، وأعرف أن معظمكم لا يفهم كلامي، لكنك بالتأكيد يا شيخ تدرك ما أعنيه، فأومأ بدر برأسه في أسى.

مصطفى: نحن الذين قتلنا الأستاذ عبد الرحمن عندما اكتشف سرنا، وأعتبر نفسي منهم لأنني كنت معهم وإن لم أشترك بقتله.

صرخ مصطفى من الألم ثم استطرد وقد تجمع معظم أهل القرية: ونحن الذين أوهمنا الناس بصورة الغريب على الشجرة عن طريق جهازٍ ما.

اتسعت عيون الجميع مع تلك المفاجآت المتلاحقة، فأردف مصطفى: فعلنا ذلك حتى نؤصِّلَ هذا الاعتقاد لدى أهل القرية، ولما عزَموا على التخلُّص من الشيخ بدر خوفًا على مشروعهم عارضتهم دون جدوى، ولكنني قد أقسمت بيني وبين نفسي ألا تراق دماء أخرى.

بدأ لسان مصطفى يثقل وآلامه تزداد وهو يقول في تهالُكٍ: لقد كنت أموت في كل يوم يأتيني فيه القتيل دون رفقائي ليأخذ بثأره مني، الحمد لله لعل الله يسامحني.

بدر وهو يبكي: لعل الله قد اطلع إلى ما في قلبك من خير وضمير حي، وأراد أن يطهرك يا مصطفى.

نظر مصطفى إلى زوجته الباكية أمامه ثم قال: أسديتِ لي أعظمَ معروف بنصيحتك لي، سامحيني، سامحوني جميعًا، ادْعُ الله أن يرحمني يا شيخ بدر،

إنني أرى الأستاذ عبد الرحمن يبتسم لي، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

قالها وارتخت يداه جانبًا وشخَص بصره، ونظرات من الجميع تنطلق تجمع بين الدهشة والحزن قد مزجتهما الدموع في ليلة الدم.

نهاية الأسرار:

وبعد القبض على مجموعة موسى ورفاقه وتقديمهم للعدالة، وقف أهل القرية جميعًا حول المنطقة الرملية المرتفعة والتي توجد فيها شجرة الغريب، وقد تقدم ناحيتها كلٌّ من الدكتور أحمد والشيخ بدر والدكتور صلاح.

الدكتور أحمد: إنها فرصتكما لدحض هذه الخرافات، وفرصتي لتحقيق كشف تاريخي، لقد أحضرتُ معدات للحفر لن نبذل معها كثيرًا من الجهد.

الدكتور صلاح: وماذا لو لم تكن هناك قلادة بالفعل؟

مطَّ الدكتور أحمد شفتَيْه وهو يقول: لن تخسرا، فعدم وجود أسرار دفينة كما يقولون، وعدم إصابتكما بالأذى واللعنة كما يرددون، هذا في حد ذاته انتصار لكما، وإثبات لما تقولانه بشأن هذه الخرافات.

بدر: وماذا عنك؟

الدكتور أحمد: ألقى جزائي من أهل القرية، لكن الأمر جدير بالمخاطرة والمغامرة، وعلى كل حال جهاز الكشف عن المعادن ينبئ عن وجود شيء معدني بالفعل في عمق أربعة أمتار.

بدأ الحفر بعد أن ذكروا الله ودعوه بألا يخذلهم، مرَّتْ ساعات من الحفر والتنقيب، وقبيل الغروب، صرَخ الدكتور صلاح وهو يمسك يده في هَلَعٍ.

بعض الحضور: أرأيتم، لقد حلَّت به اللعنة، قلت لكم بألا تطاوعوهم، قلت لك يا سيِّدي العمدة.

همَّ الناس بالفرار إلا أن صوت ضحكات صلاح المتعالية قد أوقفتهم، فإذا به يحرك يده، فضحك الجميع واستمرَّ الحفر.

وما هي إلا دقائق معدودة قبل أن ترتحل الشمس، حتى سمعَ الناسُ صوتَ تكبير الشيخ بدر وتبعه تكبير صلاح، وهو يمسك بالقلادة التي تكاد تكون مطمورة المعالم، فأخذها الدكتور أحمد وقام بمعالجتها ببعض المواد التي تصقلها وتعيد لها رونقها وبريقها، فإذا هي بنفس الصفات التي يعرفها عن القلادة، وقد نُقش عليها اسم أحمد وجولنار.

العمدة وهو يلهث من الفرح: هيا انتزع الخريطة، خريطة الكنز.

ارتبك الدكتور أحمد وقال بكلمات متقطعة والخوف يتملكه: الخريطة، نعم، الخريطة.

العمدة: هيا يا رجل، أرنا الخريطة، ألم تقل إنها مخبَّأة في القلادة؟

الدكتور أحمد: في الحقيقة يا سيدي العمدة، أنا ...

كاذب، قالها العمدة في غضب جمٍّ، ثم أردف: الحقيقة أنك خدعتنا أليس كذلك؟

الدكتور أحمد في رعب: سيِّدي العمدة نحن أمام كشف تاريخي، ستنال قريتكم على إثره شهرة واسعة، و..

قاطعه بعض الحاضرين في عصبية: وماذا سنفعل بالشهرة، نحن نريد الكنز، أنت تستحق القتل.

كفى، دعوه، قالها الشيخ بدر فإذا بالجميع يلتفت إليه، فاستطرد: لقد أسدى لكم الرجل خدمة عظيمة ومعروفًا كبيرًا.

العمدة: أي معروف يا شيخ بدر، لقد خدعنا.

بدر: لا يا سيادة العمدة، لقد أثبت لكم أن الغريب ما هو إلا أمير هارب قتله الحزن على زوجته وطفله، أي أنه ليس هناك وليٌّ، ليس هناك أسرار مدفونة، وبالتالي ليست هناك شجرة مباركة، لقد ظهر الحقُّ الذي طُمر على مدى مائتي عام، ورثتم الخرافات عن الآباء والأجداد، وأغلقتم عقولكم، ووليتم الأدبار لمنهج نبيكم ﷺ.

ثم قال بنبرة هادئة: الأولى أن تشكروه، لقد قدَّم لكم ما هو أثمن من الكنز، أفيقوا أيها الأحبةُ من سُباتكم، ووَدِّعُوا عصر الجهل والخرافات.

الدكتور صلاح: الذي يستحق الشكر حقًّا يا بدر هو أنت، أنت الذي

ناضلت من أجل الحق وظهوره.

عانقه بدر، ثم قال الدكتور صلاح: عفوًا يا دكتور، ويا أهل القرية، هذه القلادة ملك للدولة، يجب أن تسلم إلى الجهات المعنية باعتبارها أثرًا تاريخيًا.

ابتسم الدكتور أحمد قائلًا: بالطبع يا دكتور صلاح، يكفيني فخرًا ذلك النجاح، ولا أعبأ بقيمتها المادية على الإطلاق.

احتمل أهل القرية الشيخ بدر وهتفوا له، فاستوقفهم قائلًا بأعلى صوته: حفل زفافي يوم الخميس المقبل إن شاء الله تعالى، وأنتم مدعوون جميعًا.

الجميع: مبارك يا شيخ بدر، مبارك، فتابع الشيخ بدر: ولكن أين هدية زفافي؟

ضحك الجميع وقالوا: ما تأمر به نافذٌ يا شيخ، قال: حقًّا؟ قالوا: نعم.

تنفَّس بعمق ثم تابع: أريد رماد شجرة الغريب.

كبَّر الجميع، وسارعوا إلى تقطيع الشجرة وإحراقها، وقاموا على حرقها يومين كاملين، حتى تحقَّق الحلم، وانتهت الأسرار.

الزفاف:

وفي بيت العُمدة، كان بدر يتجهز لزفافه بناءً على طلب العمدة وإلحاحه، والذي علق الزينة في جميع أنحاء القرية، ولبس بدر حلة الزفاف، فكان

كأبهى ما يكون الشباب، وخرج بوجهه المستنير، وسار بجانب أهله، أهل القرية التي عاشت في قلبه وعاش في قلوب أهلها.

كان في طريقه يتذكر أيام طفولته، وحياته التي قضاها بين الحلو والمر مع أمه بعد وفاة أبيه، يتذكر عمله وأصدقاءه، شريط من الذكريات مَرَّ أمام عينيه، وما إن وصل إلى بيت العروس، حتى استقبله والده الحنون وأخوه العطوف، استقبلاه بالعناق الطويل.

بدر: أبي، لقد منحتني ثقتك، وأدعو الله أن أكون أهلًا لها.

والد صلاح: أنت بالفعل أهل لأكثر من ذلك يا ولدي.

صلاح: بدر، صديقي، أخي، أشهد الله على أنني لم أر إنسانًا مثلك، وشرفٌ لنا أن تكون صهرًا لنا.

عانقه بدر، ثم نظر إلى شرفة عروسه وتبسَّم، وأدار عينيه في جموع الناس مبتسمًا في هدوء، وبرك بركبتيه على الأرض وهو يتكئ على صلاح ووالده، فنزلا بدورهما معه على الأرض وهما والناس جميعًا في ذعر وذهول.

تبسم بدر ووجهه مستنير كالبدر، وهو يقول: أحبكم جميعًا، قولوا للعروس: لعلَّ اللهَ قد كتب لكِ السعادة مع خير مني.

شجرة الغريب قُطعت، ولئن كنتُ غريبًا في قريتكم لكنني على ثقة من أن سيرتي لن تنقطع من بينكم أليس كذلك؟

هزَّ صلاح رأسه والدموع تتساقط من عينيه، وأما الوالد فقد أخذ بدر بين أحضانه باكيًا منتحبًا وهو يقول: ومن ينساك يا بدر يا ولدي؟

تهللت أسارير الشاب وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

بدر، بدر، بدر قالها صلاح ببكاء هستيري، وأكمل: قم يا صديقي، قم يا أخي، قم للزفاااااااااااااف، ثم ضمَّه إلى صدره وهو ينتحب.

وأما الوالد فقد هطلت عيناه بالدموع وهو يسترجع، ويربت على كتف صلاح، وأهل القرية جميعًا في حالة لم يعهدوها من قبل من البكاء والحزن.

جهزوا الشاب وساروا به إلى القبور في مشهد مهيب، حتمًا ستظل القرية تتذكره أبدًا، أسكنوه قبره، وأودعوا معه قلوبهم، وأهالوا عليه التراب، ومكثوا عند قبره ساعة لا يريدون أن يفارقوا مرقده، وتوالت العبارات والكلمات التي تعبِّر عن عظيم الأسى في القلوب.

فقال أحد المحزونين: لابد وأن نقيم لهذا الرجل الصالح ضريحًا يليق به.

صلاح وهو يصرخ: لااا.

❁❁❁❁❁

أحاديثُ ضعيفةٌ في التبَرُّك

مُصطفَى محمُود

يجدُر التنبيه في نهاية هذا البحث إلى بعض الأحاديث الضعيفة التي وردت في بركة بعض الأمور، والتي أخذ بها بعضُ العامة فالتمسوا البَرَكَة في أمور بُنِيَت على أحاديث ضعيفة لا تثبت. من هذه الأحاديث[١]:

١ -حديثُ: (تختَّموا بالعقيق؛ فإنه مباركٌ).

أخرجه العقيلي في الضعفاء[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال: ولا يثبت في هذا عن النبي ﷺ شيء. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات[٣]. وذكره ابن عدي في الكامل[٤] من حديث عائشة، وذكره ابن طاهر المقدسي في التذكرة[٥] وقال: فيه يعقوب بن الوليد المديني كان يضع الحديث. وذكره ابن حبان في المجروحين[٦] عن عائشة رضي الله

(١) القسم الأول من هذا المبحث وإلى نهاية الحديث الرابع عشر مستفاد مِن كتاب: "الأمور المباركة في السنة النبوية: دراسة حديثية تحليلية" ، للدكتورة لطيفة القرشي.

(٢) الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو العقيلي (٤/ ٤٤٩)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية).

(٣) الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٣/ ٥٧-٥٨) ط١، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، وانظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (١/ ٢٥١)، دار الكتاب العربي، وقال: له طرق كلها واهية.

(٤) الكامل في الضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني (٧/ ١٤٦) ط٣، تحقيق: د. سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

(٥) معرفة التذكرة، ابن طاهر المقدسي (١/ ٣١)، مؤسسة الكتب الثقافية.

(٦) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان التميمي (٣/ ١٣٨)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

عنها، وابن عساكر[١]، والديلمي[٢] عن عائشة رضي الله عنها، وضعفه السيوطي[٣]، وقال الألباني: موضوع[٤].

٢-حديث: (إِذَا وُلِدَتِ الْجَارِيَةُ بَعَثَ اللهُ ﷻ إِلَيْهَا مَلَكًا يَزُفُّ الْبَرَكَةَ زَفًّا، يَقُولُ: ضَعِيفَةٌ خَرَجَتْ مِنْ ضَعِيفَةٍ، الْقَيِّمُ عَلَيْهَا مُعَانٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَإِذَا وُلِدَ الْغُلَامُ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: اللهُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ).

أخرجه الطبراني[٥] عن أنس وقال: "لم يروه عن شعبة إلا عبد الرحمن تفرد به عبد الله".

وقال الهيثمي[٦]: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه، لكن لم ينسبه عن عبد الله بن سليمان المصري، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه أيضًا الديلمي[٧].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٣/ ٣١٨).

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي (٢/ ٥٧)، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية).

(٣) الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي (١/ ٢٩١)، الدرر المنتثرة للسيوطي (١/ ٨)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي (٢/ ٢٣٠)، دار الكتب العلمية.

(٤) إرواء الغليل (٣/ ٣٠٩-٣١٠)، صحيح وضعيف الجامع الصغير: ناصر الدين الألباني (١٤/ ٣١) برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، السلسلة الضعيفة (١/ ٣٩٦)، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني (١/ ١٩٤)، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي)، اللآلئ المصنوعة (٢/ ٢٣٠)، كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٣٠٠)، تنزيه الشريعة المرفوعة من الأحاديث الشنيعة الموضوعة، أبو الحسن علي بن محمد الكناني (٢/ ٣٣٧)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله الغماري، دار الكتب العلمية.

(٥) المعجم الأوسط للطبراني (٣/ ٢٦٥).

(٦) مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٥).

(٧) (١/ ٣٣٤، ١٣٢٠).

٣-حديث: (البَرَكَة في البنات).

في سنده متهم بالوضع[١]، ويُروَى عن إبراهيم بن حكيم المدني المتهم بالوضع عن شعبة عن الحكم عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلاً دعا على بناته بالموت، فقال له النبي ﷺ: (لا تدعُ؛ فإن البَرَكَة في البنات). وهو عندي أبي موسى المديني عن ابن عباس: أن أوس بن ساعدة الأنصاري دخل على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي بنات، وأنا أدعو عليهن بالموت، فقال: (يا ابن ساعدة، لا تدعُ عليهنَّ؛ فإن البَرَكَة في البنات، هن المحملات عند النعمة والمعينات عند المصيبة والممرضات عند الشدة، ثقلهن على الأرض ورزقهن على الله تعالى)[٢].

٤-حديث: (أربعةٌ في الدارِ فيهن البركةُ: الشاةُ في الدارِ بركةٌ، والديكُ في الدارِ بركةٌ، ورحى اليدِ في الدارِ بركةٌ، والقداحةُ(٣) في الدارِ بركةٌ، وكيلوا طعامَكم يباركْ لكم فيه).

أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق[٤] عن أنس، وفيه عابسة أبو سليمان الكوفي متروك. وأخرجه الخطيب في التاريخ[٥] بلفظ: (الشاة بركة، والبئر

---

(١) انظر كشف الخفاء (١/ ٢٨٤)، اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، أبو المحاسن محمد بن خليل القاوقجي (١/ ٦٢)، تحقيق فواز أحمد زمرلي، وانظر لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/ ٥١) ط٣ (الهند: دائرة المعارف النظامية).

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي (١/ ٦٧٨).

(٣) الْقَدَّاحَةُ: حَدِيدَة الزند الَّتِي يقْدَح بهَا لتخرج النَّار وَحجر الزند الَّذِي يقْدَح بِهِ (المعجم الوسيط ٢/ ٧١٧).

(٤) المتفق والمفترق، أبو بكر بن علي الخطيب البغدادي (٢/ ١٠٦).

(٥) تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (٨/ ٤٩٥)، (بيروت: دار الكتب العلمية).

بركة، والتَّنُّور بركة، والقداحة بركة)، وفيه: أحمد بن نصر بن عبد الله الذارع، قال عنه الخطيب: والذارع ليس بحجة.

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية[١]، وقال: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، قد اجتمع فيه صغدي، قال يحيى: ليس بشيء، وداود بن محبر، قال أحمد والبخاري: هو شبه لا شيء، وزفر بن وهب هو مجهول، والذارع قال الدارقطني: كذاب دجال". وضعَّفه السيوطي في الجامع[٢]، وقال الألباني: "موضوع"[٣].

٥-حديث: (الشَّاةُ فِي الْبَيْتِ بَرَكَةٌ وَالشَّاتَانِ بَرَكَتَانِ وَالثَّلاَثُ شيَاه ثَلاَثٌ بَرَكَاتٍ).

أخرجه البخاري في الأدب[٤] عن علي مرفوعًا، وأخرجه العقيلي[٥]، وفيه إسماعيل بن سلمان وهو إسماعيل الأزرق، قال يحيى بن معين: ليس بشيء.

---

(١) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٢/ ٦٦٣) تحقيق: خليل الميس، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية)، وانظر: لسان الميزان لابن حجر (٣/ ١٩١)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي (٢/ ٣١٦) تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر).

(٢) الجامع الصغير (٢/ ١٩).

(٣) السلسلة الضعيفة (٨/ ٢٥٣)، وانظر ضعيف الجامع (١٥/ ٣٨٨).

(٤) في الأدب المفرد (١/ ٢٠١)، وقال الألباني: "ضعيف جدًا" ، انظر ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني (١/ ٧٨) ط١ (دار الصديق).

(٥) الضعفاء الكبير للعقيلي (١/ ٢٤٠)، وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوع، أبو الحسن الكناني (٢/ ٣٢٣).

٦-حديث: (البَرَكَة في صِغَرِ القُرْصِ وَطُولِ الرِّشَاءِ[١] وقِصَرِ الجَدْوَلِ[٢]).

حديث موضوع. ذكره ابن الجوزي[٣]، وقال: "قَالَ أَبُو عبد الرَّحْمَن النَّسَائِيّ: هَذَا الحَدِيث كذب" . قال السخاوي: باطل[٤]. وقال الألباني: موضوع[٥].

٧-حديث: (صَغِّرُوا الْخُبْزَ وَأَكْثِرُوا عَدَدَهُ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ).

ذكره ابن الجوزي في الموضوعات[٦]، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُتَّهَمُ بِهِ جَابر ابْن سليم، قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الأَزْدِيُّ: هُوَ مُنكر الحَدِيث لَا يكْتب حَدِيثه". وقال الفتني: "قَالَ ابْن أَحْمد مُنكر لَا شكّ فِيهِ"[٧].

ونُقل عن الحافظ ابن حجر أنه قال: تتبعت هل كان خبز المصطفى ﷺ صغيرًا أو كبيرًا فلم أرَ فيه شيئًا[٨]. وقال الألباني: موضوع[٩].

---

(١) الرشاء: الحبل الذي يجلب به الماء. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٢٢).

(٢) الجدول: النهر الصغير. انظر: مختار الصحاح (١/ ١٩).

(٣) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٩٢)، وانظر: اللآلئ المصنوعة، جلال الدين السيوطي (٢/ ١٨٣-١٨٤)، تنزيه الشريعة، أبو الحسن الكناني (٢/ ٢٩٦)، تذكرة الموضوعات، محمد طاهر الفتني (١/ ١٤٣)، كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٢٨١).

(٤) المقاصد الحسنة (١/ ٤٢٢).

(٥) صحيح وضعيف الجامع (١٣/ ٤٩٤)، السلسلة الضعيفة (٧/ ٣٧٨).

(٦) الموضوعات (٢/ ٢٩٢)، وانظر: لسان الميزان (٢/ ٨٦).

(٧) تذكرة الموضوعات (١/ ١٤٣)، وانظر: المصنوع في معرفة الحديث المرفوع، علي بن سلطان القاري الهروي (١/ ١١٨) تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة (حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية)، المقاصد الحسنة (١/ ٤٢٢)، اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٨٣)، كشف الخفاء (٢/ ٢٥)، تنزيه الشريعة المرفوعة (٢/ ٣٠١).

(٨) انظر: كشف الخفاء (٢/ ٢٥).

(٩) صحيح وضعيف الجامع (١٧/ ٦١)، السلسلة الضعيفة (٨/ ٢٧٣).

٨-حديث: (ثَلاثٌ فِيهِنَّ الْبَرَكَةُ: الْبَيْعُ إِلَى أَجَلٍ، وَالْمُقَارَضَةُ[١]، وَإِخْلاطُ الْبُرِّ بِالشَّعِيرِ لِلْبَيْتِ لَا لِلْبَيْعِ)، وفي لفظ: (لِلْبَيْتِ لَا لِلسُّوقِ).

أخرجه ابن ماجه[٢]. وفي الزوائد: في إسناده صالح بن صهيب مجهول، وعبد الرحيم بن داود، قال العقيلي: حديثه غير محفوظ. قال السندي ونصر بن قاسم: قال البخاري: حديثه مجهول.

وأخرجه ابن عساكر[٣] والعقيلي[٤] عن صالح بن صهيب عن أبيه.

قال الفتني: "موضوع في إسناده مجهولان وحديثهما غير محفوظ"[٥].

وقال ابن الجوزي: "هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وعَبْد الرَّحْمَن بْن دَاوُد وَعمر بْن بسطَام مَجْهُولَانِ وحديثهما غير مَحْفُوظ"[٦]. وقال الألباني: ضعيف جدًّا[٧]، وقال مرة: منكر[٨].

٩-حديث: (مِنْ بَرَكَةِ الْمَرْأَةِ تَبْكِيرُهَا بِالأُنْثَى، أَلَمْ تَسْمَعِ قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٤٩]، فَبَدَأَ بِالإِنَاثِ) عن واثلة بن الأسقع.

---

(١) المقارضة: المضاربة.
(٢) السنن (٢/ ٧٦٨) رقم (٢٢٨٩).
(٣) تاريخ دمشق (٢١/ ٢٦٣).
(٤) الضعفاء الكبير للعقيلي (٥/ ٤٦١)، (٥/ ٢٧٩)، (٣/ ٨٠).
(٥) تذكرة الموضوعات (١/ ١٣٦)، وانظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ١٤٧-١٤٨)، اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٢٩)، تنزيه الشريعة المرفوعة (٢/ ٢٣٦).
(٦) الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٤٨-٢٤٩)، وانظر: تلخيص كتاب الموضوعات للذهبي (١/ ١٢٨)، لسان الميزان (٤/ ٢٨٦)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٠٥)، ضعفاء العقيلي (٣/ ١٥١)، تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر (٦/ ٢٧٣)، ط١ (بيروت: دار الفكر).
(٧) صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني (٣/ ٢٤٨)، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه للألباني (٥/ ٢٨٩).
(٨) السلسلة الضعيفة (٥/ ١١٨).

أخرجه ابن عساكر[١]، وفيه العلاء بن كثير منكر الحديث. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات[٢]، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَقد اتفق فِيهِ جمَاعَة كذابون: أما سلم فَقَالَ يَحْيَى: هُوَ كَذَّاب. وَأما حَكِيم فَقَالَ أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: مَتْرُوك الحَدِيث. وَأما الْعَلاء بْن كَثِير فَقَالَ أَحْمَد وَيَحْيَى: لَيْسَ بشيء، وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: يَرْوِي الْمَوْضُوعَاتِ عَن الأثبات". وأخرجه الخطيب[٣]، وضعفه السيوطي في الجامع[٤]، وقال الألباني: موضوع[٥].

رواه الديلمي[٦]، ورواه أيضًا عن عائشة مرفوعًا بلفظ: (من بركة المرأة على زوجها تيسير مهرها، وأن تبكر بالإناث)، وهما ضعيفان[٧].

١٠ -حديث: (إِذَا أَكَلْتُمُ الْقِثَّاءَ فَكُلُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ وَلا تَأْكُلُوهُ مِنْ رَأْسِهِ؛ فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَأْتِي مِنْ رَأْسِهِ).

أخرجه الديلمي[٨] من حديث وابصة بن معبد.

وفيه عبد الملك بن حصين، قال أبو زرعة: لا يُكتب حديثُه[٩].

---

(١) تاريخ دمشق (٤٧/ ٢٢٥).
(٢) الموضوعات (٢/ ٢٧٦).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٧).
(٤) الجامع الصغير (٢/ ٢٩٩).
(٥) صحيح وضعيف الجامع (٢٥/ ٧١)، السلسلة الضعيفة (١٠/ ٢٠).
(٦) مسند الفردوس (١/ ٢١٤).
(٧) المقاصد الحسنة للسخاوي (١/ ٦٧٨)، وانظر: كشف الخفاء (٢/ ٢٨٦-٢٨٧)، اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٤٩)، الفوائد المجموعة (١/ ١٣٣)، تنزيه الشريعة المرفوعة (٢/ ٢٤٤).
(٨) مسند الفردوس (١/ ٢٧٤).
(٩) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة (٢/ ٣٢٠).

١١-حديث: (إذا صلَّى أحدُكم فلْيَتْرُكْ لبيته نصيبًا؛ فإنَّ البَرَكَة في البيت الذي فيه الصلاة).

أخرجه الدارقطني[١] عن ابن عمر. وقال الدارقطني: "لا يثبت، وإبراهيم بن أحمد مجهول، ويحيى بن السكن ضعيف".

١٢-حديث: (تَرِّبُوا[٢] صُحُفَكُمْ؛ فإنه أنْجَحُ لَها، إنَّ التُّرابَ مُبارَكٌ).

أخرجه ابن ماجه[٣] عن جابر، وفي إسناده أبو أحمد الدمشقي مجهول[٤]، وأخرجه ابن عساكر[٥] وابن عدي[٦] وضعَّفه السيوطي[٧]، وقال المناوي: فيه مجهول والمتن منكر[٨]. وقال الألباني: ضعيف[٩]، وقال مرةً: منكر[١٠].

وروى الخطيبُ عن عبد الوهاب الحجبي قال: كنتُ في مجلس بعض المحدثين ويحيى بن معين إلى جنبي فكتبت كتابًا فذهبت لأتربه فقال لي:

(١) موسوعة أقوال الدارقطني (٣٦/ ٣٤)، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري، وانظر: لسان الميزان (١/ ٢٨).
(٢) أي فليَذَرْ عليه ترابًا، يقال: أتْرَبْتَ الشيءَ؛ إذا جعلت عليه التراب. انظر: النهاية (١/ ٤٨٥).
(٣) السنن: كتاب الأدب، باب تتريب الكتاب (٢/ ١٢٤٠).
(٤) انظر: تحفة الأحوذي (٧/ ٤١١).
(٥) تاريخ دمشق (١٠/ ٣٤٣)، (٦٦/ ٥).
(٦) الكامل (١/ ٢٩٨)، (٢/ ٧٣).
(٧) الجامع الصغير (١/ ٢٩٣).
(٨) التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي (١/ ٩٠٦) ط٣ (الرياض: مكتبة الإمام الشافعي).
(٩) صحيح وضعيف ابن ماجه (٨/ ٢٧٤)، صحيح وضعيف الجامع الصغير (١٤/ ٤٢)، ضعيف سنن الترمذي (١/ ٣٢٤).
(١٠) السلسلة الضعيفة (٤/ ٢٢٤).

لا تفعل؛ فإن الأرَضَة تُسرع إليه. قال: فقلت له الحديث عن النبي ﷺ: (تربوا الكتاب، فإن التراب مبارك وهو أنجح للحاجة)، قال: ذاك إسناده لا يساوي فلسًا"[1]. وأخرجه الترمذي[2] بلفظ: (إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ كِتَابًا فَلْيُتَرِّبْهُ؛ فَإِنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ) من حديث حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ لَا نَعْرِفُهُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ. قال: وَحَمْزَةُ هُوَ عِنْدِي: ابْنُ عَمْرٍو النَّصِيبِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي الحَدِيثِ" . وقال الألباني: ضعيف[3].

وقال السيوطي في الدرر عقب تخريجه: "قال أحمد: منكر" [4]، وذكر أن له طرقًا عديدة عند الديلمي وابن عدي وابن عساكر بألفاظ متقاربة، قال: "وأسانيدها ضعيفة" [5]، وقال الفتني: موضوع[6].

١٣-حديث: (بَرَكَةُ الطَّعامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ والوُضُوءُ بَعْدَهُ).

أخرجه أبو داود[7] من طريق سلمان قال: قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: (بَرَكَةُ الطَّعامِ

(١) كشف الخفاء (١/ ٩٥)، وانظر: العلل المتناهية (١/ ٩٣).
(٢) السنن: كتاب الاستئذان، باب ترتيب الكتاب (٥/ ٦٦).
(٣) ضعيف سنن الترمذي (١/ ٣٢٤)، السلسلة الضعيفة (٤/ ٢٢٣).
(٤) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١/ ٢)، وانظر: موسوعة أقوال الإمام أحمد في الجرح والتعديل (٩/ ٤٠٥)، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، محمد بن عبد الله الزركشي (١/ ٩٥) تحقيق: محمد لطفي الصباغ (دار الكتب العلمية)، الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، مرعي يوسف الكرمي المقدسي (١/ ٩٢) تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، العلل المتناهية (١/ ٩١).
(٥) الدرر المنتثرة (١/ ٢).
(٦) تذكرة الموضوعات (١/ ١٦٣).
(٧) السنن: كتاب الأطعمة، باب في غسل اليد قبل الطعام (٣/ ٤٠٥).

الوُضُوءُ قَبْلَهُ والوُضُوءُ بَعْدَهُ). وقال أبو داود: وكان سفيان يكره الوضوء قبل الطعام، وقال عن الحديث: وهو ضعيف.

وأخرجه الترمذي[١] وقال: "لَا نَعْرِفُ هَذَا الحَدِيثَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ" . وقال: قال علي بن المديني: قال يحيى بن سعيد: كان سفيان الثوري يكره غسل اليد قبل الطعام.

وأخرجه أحمد[٢]، "وقال مهنَّا: سألت أحمد عن حديث قيس بن الربيع عن أبي هشام عن زاذان عن سلمان عن النبي ﷺ: (بَرَكَةُ الطَّعامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ والوُضُوءُ بَعْدَهُ)، فقال لي أبو عبد الله: منكر[٣]" .

"وقال مهنَّا: سألت أحمد؛ قلت: بلغني عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قال: كان سفيان يكره غسل اليد عند الطَّعام؛ قلت: لم كرهَ سفيان ذلك؟ قال: لأنه من زيِّ العجم، وضعَّف أحمدُ حديث قيس بن الربيع" [٤].

وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف من أجل قيس بن الربيع.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الأطعمة، باب الوضوء قبل الطعام وبعده (٤/ ٢٨١).
(٢) المسند (٥/ ٤٤١).
(٣) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، ابن قيم الجوزية (١/ ٢٣١)، وانظر: العلل المتناهية (٢/ ٦٥٢)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ١٥٥).
(٤) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، ابن قيم الجوزية (٢/ ٢٣١).

وأخرجه البيهقي[١] وقال: قيس بن الربيع غير قوي، ولم يثبت في غسل اليد قبل الطعام حديثٌ. وقال في معرفة السنن والآثار[٢]: "قيس لا يُحتجُّ به" . وقال الألباني: ضعيف[٣].

١٤- حديث: (النَّخْلُ وَالشَّجَرُ بَرَكَةٌ عَلَى أَهْلِهِ وَعَلى عَقِبِهِمْ بَعْدَهُمْ إِذَا كانُوا لله شَاكِرِينَ).

أخرجه الطبراني[٤] عن الحسن بن علي. وقال الهيثمي: "وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَامِعٍ الْعَطَّارُ، وَهُوَ ضَعِيفٌ" [٥]، وضعَّفه السيوطي[٦].

وقال الألباني: ضعيف جدًّا[٧]. وأخرجه الديلمي[٨].

١٥-حديث: (الْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ، وَالثَّرِيدُ بَرَكَةٌ، وَالسَّحُورُ بَرَكَةٌ، والطعام المكيل بركةٌ، تسحَّروا تزدادوا قوةً، تَسَحَّرُوا تصيبوا السُّنة، تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجُرْعَةٍ من ماءٍ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ).

---

(١) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٧/ ٢٧٥-٢٧٦) (دار الفكر).
(٢) معرفة السنن والآثار (١٢/ ٩٨-٩٩).
(٣) انظر: إرواء الغليل (٧/ ٢٤)، ضعيف سنن الترمذي (١/ ٢٠٩)، ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢)، ضعيف أبي داود (١/ ٣٧٠)، السلسلة الضعيفة (١/ ٣٠٩)، وتجدر الإشارة إلى أن ضعف الحديث بالوضوء قبل الأكل لا يمنع غسل اليدين قبله؛ فهو عمل حسن تقتضيه الفطرة وتدعو له حكمة الإسلام؛ ولأن اليدين تتعرض للأوساخ والأتربة، وربما أفسدت الطعام ولوَّثته فيضة الأكل.
(٤) المعجم الكبير (٣/ ٨٤)، رقم (٢٧٣٥)
(٥) مجمع الزوائد (٤/ ١١٩).
(٦) الجامع الصغير (٢/ ٣٦٥).
(٧) ضعيف الجامع (٢٥/ ٣٢٤)، السلسلة الضعيفة (١٠/ ٢٠٢).
(٨) مسند الفردوس (٤/ ٣٠٨، ٦٩٠٥).

رواه أحمد بن المهندس[١] عن عمرو بن بزيع الأزدي عن الحارث عن علي مرفوعًا.

وقال الألباني: ضعيف[٢].

١٦ -حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْرَهُ الْكَيَّ وَالطَّعَامَ الْحَارَّ، وَيَقُولُ: (عَلَيْكُمْ بِالْبَارِدِ، فَإِنَّهُ ذُو بَرَكَةٍ أَلا وَإِنَّ الْحَارَّ لا بَرَكَةَ لَهُ، وَكَانَتْ لَهُ مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا عِنْدَ النَّوْمِ ثَلاثًا ثَلاثًا).

أخرجه أبو نعيم في الحلية[٣] من طريق عَبْد اللهِ بْن خُبَيْق: حدثنا يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْعَرْزَمِيِّ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قال: فذكره مرفوعًا. وقال: "غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ". قال الألباني: "وهو ضعيف لسوء حفظه، لكن شيخه العرزمي أشدُّ ضعفًا منه، واسمه محمد بن عبيد الله العرزمي، قال الحافظ: متروك"[٤].

وقال الألباني: ضعيف جدًّا[٥].

١٧ -حديث: (بَاكِرُوا طَلَبَ الرِّزْقِ والحَوَائِجَ، فَإِنَّ الْغُدُوَّ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ).

---

(١) في "حديث عافية وغيره" (٢/ ١٣٢).
(٢) السلسلة الضعيفة (٢٦٧٣)، وضعيف الجامع الصغير (٢٦٥٤). لكن معنى الحديث - دون الطعام المكيل - ثابت من طرق أخرى كما حققه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٤٥) بلفظ: (البَرَكَة في ثلاث: الجماعات والثريد والسحور).
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٥٢).
(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤/ ١٠٣).
(٥) السلسلة الضعيفة (١٥٩٨)، وضعيف الجامع (٤٦٠٦).

أخرجه الطبراني في الأوسط[١]، وقال الهيثمي[٢]: "فِيهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ". وابن عدي[٣] وقال: "لا يرويه عن هشام غير إسماعيل بن قيس وعامة ما يرويه منكر". وأخرجه أيضًا: الديلمي[٤]، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية[٥].

وقال الألباني: ضعيف[٦].

ورُوي الحديث بلفظ: (اغْدُوا فِي طَلَبِ العِلْمِ فإِنَّ الغُدُوَّ بَرَكَةٌ ونَجاحٌ).

أخرجه الخطيب في التاريخ[٧]، وقال فيه الألباني: موضوع[٨].

١٨-حديث: (إن من بركةِ الطعامِ أن يكونَ عليه رجلٌ اسمُه اسمُ نبيٍّ).

أخرجه ابن عدي، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ بَاطِل بِهَذَا الإِسْنَادِ"[٩]. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[١٠]، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة، وقال

(١) المعجم الأوسط (٧/ ١٩٣، رقم ٧٢٥٠).
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ٦١).
(٣) الكامل في الضعفاء (١/ ٤٩٠).
(٤) مسند الفردوس (٢/ ٩، رقم ٢٠٨٠).
(٥) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٣٢١، رقم ٥٢٧).
(٦) ضعيف الجامع (٢٣١٨)، وضعيف الترغيب والترهيب (١٠٤٥)، والسلسلة الضعيفة (١٦٦٨).
(٧) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/ ٢٧٠).
(٨) السلسلة الضعيفة (٢٨٣٧)، وضعيف الجامع (٩٨٢).
(٩) الكامل في الضعفاء (١/ ٤٩٩).
(١٠) (٣/ ٩٢).

عن سنده: "إِسْمَاعِيل يُحدث بالأباطيل، وزَكَرِيا هَالك، وَمُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن رزين المصِّيصي دَجَّالٌ يضع"[١].

وقال الذهبي: "فيه إسماعيل بن يحيى - متهم - وعنه محمد بن يحيى بن رزين: وضَّاع"[٢].

١٩-حديث: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ دَنَا مِنْ زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَنْوِي إِن حملت منْهُ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا إِلا رَزَقَهُ اللهُ ذَكَرًا وَمَا كَانَ اسْمُ مُحَمَّدٍ فِي بَيْتٍ إِلا جَعَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ بَرَكَةً).

أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات[٣] وقال: "لا يَصِحُّ"، وكذا قال السيوطي[٤].

وقال الذهبي: "هَذَا مَوْضُوع، وَسَنَده مظلم"[٥].

وقال ابن القيم: موضوع[٦]، وكذا قال القاوقجي[٧].

٢٠- حديث: (رُفِعَتْ لِي الأَرْضُ، فَرَأَيْتُ مَدِينَةً أَعْجَبَتْنِي. فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، أَيُّ مَدِينَةٍ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ نَصِيبِينَ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ عَجِّلْ فَتْحَهَا، وَاجْعَلْ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ بَرَكَةً).

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٩٢).
(٢) تلخيص كتاب الموضوعات (١/ ٢٣٩، رقم ٦١٥)، (مكتبة الرشد - الرياض).
(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٥٨).
(٤) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٩٨).
(٥) تلخيص كتاب الموضوعات (ص: ٣٥).
(٦) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: ٥٢).
(٧) اللؤلؤ المرصوع (ص: ١٦٤).

أخرجه ابن عدي، وقال: منكر[١]. وبهذا قال ابن القيسراني[٢] أيضًا.

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٣]، وقال: "قَالَ أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: مُحَمَّد بْن كَثِير يروي عَنِ اللَّيْث وَغَيره الأباطيل وَالْبَلَاء مِنْهُ" . "وَفِيه عبد السَّلَام بن مُحَمَّد الْحَضْرَمِيّ لَا يعرف" [٤]. وبمثل هذا قال الذهبي[٥] وابن حجر العسقلاني[٦].

٢١-حديث: (إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مَؤُونَةً).

وفي لفظٍ: (أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أيسرُهن مؤونَة).

أخرجه الخطيب في "الموضح" [٧]، وأخرجه الطيالسي[٨]، وأحمد في المسند[٩]، وأبو نعيم في "الحلية" [١٠] وقال: "من مفاريد وغرائب القاسم بن محمد" .

وقال الهيثمي: "فيه ابن سخبرة يقال اسمه عيسى بن ميمون وهو متروك" [١١]. وقال الشوكاني: في إسناده ضعف[١٢].

---

(١) الكامل في الضعفاء (٧/ ٥٠١).
(٢) ذخيرة الحفاظ (٣/ ١٤٠٦).
(٣) الموضوعات (٢/ ٥٦).
(٤) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢/ ٤٦).
(٥) انظر: تلخيص كتاب الموضوعات (١/ ١٦٣، رقم ٣٦٠)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٠).
(٦) انظر: لسان الميزان (٧/ ٤٦٠).
(٧) موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٢٩٦، ٢٩٧).
(٨) مسند أبي داود الطيالسي (١٤٢٧).
(٩) مسند الإمام الأحمد (٢٤٥٢٩)، ط مؤسسة الرسالة.
(١٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٥٦).
(١١) مجمع الزوائد (٤/ ٢٥٨).
(١٢) الدراري المضية (٢١٥).

وقال الألباني: إسناده ضعيف[١]. وبمثله قال شعيب الأرنؤوط[٢].

وهذا الحديث مشتهر على ألسن الدعاة والوعَّاظ بَلْهَ عوام الناس، وإسناده ضعيفٌ كما ترى، ويغني عنه في بابه حديثُ عائشة رضي الله عنها: (إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا)[٣].

٢٢-حديث: (مَنْ أَدْخَلَ فِي بَيْتِهِ حَبَشِيًّا أَوْ حَبَشِيَّةً أَدْخَلَ الله بَيْتَهُ بركة).

رواه الديلمي[٤] عن ابن عمر مرفوعًا به. وقال ابن حجر العسقلاني: موضوع[٥].

وعزاه السخاوي إلى ابن الجوزي في "تنوير الغبش في فضل السودان والحبش"، وقال: "لا يصح"[٦]. وكذا قال العجلوني[٧].

٢٣-حديث: (إذا رفعَ أحدُكم يديهِ يدعو فإنَّ اللهَ جاعِلٌ فيهما برَكةً ورَحمةً فإذا فرغَ من دعائِه فليمسَح بِهما وجهَه).

---

(١) تخريج مشكاة المصابيح (٣٠٣٣).
(٢) مسند أحمد، ط الرسالة (٤١/ ٧٥، هامش "٣").
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٤٧٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. وأخرجه أيضًا البزار (١٤١٧) (زوائد)، والطبراني في "الأوسط" (٣٦٣٧)، وفي "الصغير" (٤٦٩)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٣/ ١٦٣) و(٨/ ١٨٠)، والبيهقي في "السنن" (٧/ ٢٣٥).
(٤) الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٥٧٢، رقم ٥٧٩٥).
(٥) لسان الميزان (٣/ ٣٤٦).
(٦) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (٤٦٣).
(٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (٢/ ٢٩٣).

أَخْرَجَهُ الطَّبرانيُّ في " الدُّعاءِ "[١]، قَالَ: حدَّثنا أبو مسلمٍ الكَشِّيُّ، حدَّثنا القَعْنبيُّ، حدَّثنا عِيسَى بنُ يُونسَ، عَنْ إبراهيمَ بنِ يزيدَ، عَنِ الوليدِ بنِ عبدِ اللهِ ؛ أَنَّ النَّبيَّ قَالَ: فذكره.

قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ في " أَمَالِيهِ "[٢]: " الوليدُ في طبقةِ من سَمِعَ من الصَّحابةِ ﷺ، لكنْ لَمْ أَرَ لَهُ رِوَايَةً عَنْ صحابيٍّ، فَيَكُونُ هَذَا الإسنادُ مُعْضَلاً ".

وقال السخاوي: معضل[٣].

٢٤-حديث: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أُتِي بلبنٍ قال: بركة أو بركتان).

أخرجه أحمد[٤]، وابن ماجه[٥]، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

وقال الألباني: ضعيف[٦].

٢٥-حديث: (مَنْ سَمِعَ سُورَةَ يس عَدَلَتْ لَهُ عِشْرِينَ دِينَارًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَدَلَتْ لَهُ عِشْرِينَ حَجَّةً، وَمَنْ كَتَبَهَا وَشَرِبَهَا أَدْخَلَتْ جَوْفَهُ

---

(١) الدعاء للطبراني رقم (٢١٤)، دار الكتب العلمية - بيروت.
(٢) انظر: "فَضِّ الوعاءِ فِي أحاديث رفعِ اليديْن بالدعاء" للسُّيوطيِّ ص(٩٤)، مكتبة المنار - الأردن.
(٣) الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (١/ ٢٧٩).
(٤) المسند (٢٥١٢٤) ط الرسالة.
(٥) السنن (٣٣٢١).
(٦) السلسلة الضعيفة (٤١٦٤)، وضعيف الجامع (٤٣٢٥).

أَلْفَ يَقِينٍ وَأَلْفَ نور، وألف بركة، وَأَلْفَ رَحْمَةٍ، وَأَلْفَ رِزْقٍ، وَنَزَعَتْ مِنْهُ كُلَّ غِل).

أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: "باطل لا أصل له"[١].

وقال الشوكاني: رواه الخطيب عَنْ عَلِيٍّ ﷺ مرفوعًا، وهو موضوع[٢].

وقال الألباني: موضوع[٣]، وقال أيضًا: "وهذا متن باطل ظاهر البطلان والوضع"[٤].

٢٦-حديث: (سَيِّدُ النَّاسِ آدَمُ، وَسَيِّدُ الْعَرَبِ مُحَمَّدٌ، وَسَيِّدُ الرُّوم صُهَيْبٌ، وَسَيِّدُ الْفُرْسِ سَلْمَانُ، وَسَيِّدُ الحَبَشَةِ بِلَالٌ، وَسَيِّدُ الْجِبَالِ طُورُ سَيْنَاءَ، وَسَيِّدُ الشَّجَرِ السِّدْرُ، وَسَيِّدُ الأَشْهُرِ الْمُحَرَّمُ، وَسَيِّدُ الأَيَّامِ الْجُمُعَةُ، وَسَيِّدُ الكَلَامِ الْقُرآنُ، وَسَيِّدُ الْقُرآنِ الْبَقَرَةُ، وَسَيِّدُ الْبَقَرَةِ آيَةُ الكُرْسِي، أَمَا إِنَّ فِيهَا خَمْسَ كَلِمَاتٍ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ خَمْسُونَ بَرَكَة).

أخرجه الديلمي[٥] عن علي بن أبي طالب. وابن عساكر[٦] مختصرًا بلفظ: "وقال علي بن أبي طالب: فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسي أما إنها خمسون كلمة في كل كلمة سبعون بركة".

---

(١) الموضوعات (١/ ٤٠٠).
(٢) الفوائد المجموعة (ص: ٣٠٠).
(٣) السلسلة الضعيفة (٣٢٩٣).
(٤) السابق نفسه.
(٥) الفردوس (٢/ ٣٢٤، رقم ٣٤٧١).
(٦) تاريخ دمشق (٤٦/ ٣٩٣).

وقال الألباني: موضوع[١]، وساق إسناده ثم قال: "وهذا إسناد ضعيف مظلم، ولوائح الوضع عليه ظاهرة"[٢].

٢٧-حديث: (أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ لَهُ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَأَخْرَجَ له بركاتٍ من الأرض).

ويُروى بلفظ: (أكرِموا الخبزَ، فإنَّ اللهَ ﷻ سخَّرَ له بركاتِ السماواتِ والأرضِ والحديدَ والبقرَ وابنَ آدمَ).

أخرجه الطبراني في "مسند الشاميين"[٣]. وابن حبان في "المجروحين"[٤] وقال: "[فيه] أبو العباس المعلم يسرق الحديث ويقلب الأسانيد لا يحل ذكر حديثه إلا عند أهل الصناعة فكيف الاحتجاج به". وابن عساكر[٥] وقال: غريب.

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات[٦]، وقال: "هَذَا حَدِيث لا يَصح".

وقال الألباني: ضعيف[٧]. وقال مرةً: موضوع[٨].

---

(١) السلسلة الضعيفة (٣٧٢٨)، وضعيف الجامع (٣٣٢٦).
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٨/ ٢٠٧).
(٣) (١/ ٣٢، رقم ١٥).
(٤) (٢/ ١١٦).
(٥) تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٠٤).
(٦) (٢/ ٢٩٠)
(٧) السلسلة الضعيفة (٢٨٨٥)، وضعيف الجامع (١١٢٦، ١١٢٧).
(٨) ضعيف الجامع (١١٢٥).

٢٨-حديث: (البَرَكَة فِي المُماسَحَةِ[١]).

أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف"[٢]، وأبو داود في "مراسيله"[٣] عن محمد بن سعد بن أبي وقاص.

وقال الألباني: ضعيفٌ جدًّا[٤].

٢٩- حديث: (ينزلُ في الفراتِ كلَّ يومٍ مثاقيلُ منْ بركةِ الْجَنةِ).

أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد"[٥] عن عبد الله بن مسعود.

وقال السيوطي[٦]: ضعيف. وكذا قال الألباني[٧].

٣٠- حديث: (مَا من رجل من أمتِي ولدت لَهُ جَارِيَة؛ فَلم يسْخط مَا خلق الله إِلَّا هَبَط ملك من السَّمَاء حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا بِالْبركَةِ).

أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٨] وقال: "هَذَا حَدِيث مَوْضُوع".

وأخرجه ابن عدي وقال: منكر[٩].

وأخرجه الشوكاني في "الفوائد المجموعة" وأشار إلى وضعه[١٠].

---

(١) "المماسحة" : أي المصافحة في البيع كذا ذكروه ولا مانع من إعماله بإطلاقه ويكون المراد المصافحة حتى عند ملاقاة الإخوان ونحو ذلك. (انظر: فيض القدير ٣/ ٢٢٠).
(٢) (رقم ٢٢٦٦٠).
(٣) المراسيل مع الأسانيد لأبي داود (١٦٨).
(٤) السلسلة الضعيفة (٧١٥٣)، وضعيف الجامع (٢٣٧١).
(٥) تاريخ بغداد (١/ ٣٥٩).
(٦) الجامع الصغير (١٠٠٢٤).
(٧) ضعيف الجامع (٦٤٤٦).
(٨) (٢/ ٢٧٥).
(٩) الكامل في الضعفاء (٩/ ٩٠).
(١٠) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص: ١٣٣).

٣١- حديث: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ ، قَالَ: (مَرْحَبًا بِالشِّتَاءِ ، فِيهِ تَنْزِلُ الْبَرَكَةُ، أَمَا لَيْلُهُ فَطَوِيلٌ لِلْقِيَامِ، وَأَمَّا نَهَارُهُ فَقَصِيرٌ لِلصِّيَامِ).

أورده ابن عدي في "الكامل"[١] وقال: منكر. والديلمي[٢] عن ابن مسعود.

وقال المزي في "تهذيب الكمال"[٣]: "[فيه] السري بن إسماعيل، قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال أبو داود: ضعيف متروك الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث".

وقال الذهبي في "ميزان الاعتدال"[٤]: منكر.

٣٢- حديث: (أَمْلِكُوا[٥] العَجِينَ، فإنه أعظمُ البركةِ).

رواه ابن عدي في "الكامل"[٦] وقال: منكر جدًّا. وابن القيسراني وقال: منكر[٧].

وقال الألباني: منكر جدًّا[٨]. وقال مرة: ضعيف[٩].

---

(١) الكامل في الضعفاء (٤/ ٥٣٨) و(٨/ ٢٥٠).
(٢) مسند الفردوس (٤/ ١٦٤، رقم ٦٥١٣).
(٣) (٧/ ٦٥).
(٤) (٤/ ٢٧٠).
(٥) "أملكوا": أي أنعموا عجنه وأجيدوه.
(٦) الكامل في الضعفاء (٤/ ٣٢٩، ٣٣٠).
(٧) ذخيرة الحفاظ (١/ ٤٩١).
(٨) السلسلة الضعيفة (١٨٢٥).
(٩) ضعيف الجامع (١٢٧٣).

٣٣- حديث: (إذا أَرَادَ أحدُكُمْ سَفَرًا فَلْيُوَدِّعْ إخْوانَهُ فإنَّ الله جاعِلٌ لَهُ فِي دُعائِهِم البَرَكَةَ).

رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[١] والديلمي[٢]، وابن عساكر في "تاريخه"[٣]، جميعهم عن زيد بن أرقم.

وقال العراقي: سنده ضعيف[٤].

وقال الألباني: موضوع[٥].

٣٤- حديث: (لا يَفْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ أَمْرًا حَتَّى يَسْتَشِيرَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَسْتَشِيرُهُ فَلْيَسْتَشِرِ امْرَأَةً ثُمَّ لِيُخَالِفْهَا فَإِنَّ فِي خِلافِهَا الْبَرَكَةَ).

ذكره السخاوي في "المقاصد الحسنة"، وقال: "[فيه] عِيسَى [ابْن إِبْرَاهِيم الْهَاشِمِي] ضعيف جدًّا مع انقطاع فيه"[٦].

وذكره الفتني في "تذكرة الموضوعات"[٧]، وقال: "فِي سَنَده عِيسَى ضَعِيف جدًّا مَعَ أَنه مُنْقَطع".

وقال الملا علي القاري: "فِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ وَانْقِطَاعٌ"[٨].

(١) (رقم ٨٠٥).
(٢) الفردوس (١ / ٢٩٩، رقم ١١٨١).
(٣) (٥٧/ ٣٧٢).
(٤) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (١/ ٧٢٢)، مطبوع بهامش "الإحياء".
(٥) السلسلة الضعيفة (١٦٢٣)، وضعيف الجامع (٤٧٠).
(٦) المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة (ص: ٤٠٠).
(٧) تذكرة الموضوعات (ص: ١٢٨).
(٨) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص: ٢٢٢).

٣٥-حديث: (لا تَسْتَشِيرُوا الْحَاكَةَ[١] وَلا الْمُعَلِّمِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ سَلَبَهُمْ عُقُولَهُمْ، وَنَزَعَ البَرَكَةَ مِن أَكْسَابِهِم).

ذكره الجورقاني في "الأباطيل والمناكير"[٢]، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ".

وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات"[٣]، وقال: "هَذَا حَدِيث مَوْضُوع عَلَى رَسُولِ الله ﷺ".

وقال الذهبي في "ميزان الاعتدال"[٤]: موضوع.

وقال الشوكاني: موضوع[٥].

٣٦-حديث: (تُرْفَعُ البَرَكَة مِنَ البَيْتِ إِذا كانَ فِيهِ الكِناسَةُ).

رواه الديلمي[٦] عن أنس مرفوعًا.

وقال الألباني: ضعيف[٧].

٣٧-حديث: (إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ؛ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَالمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ).

---

(١) الحَاكَة: جَمْعُ (حَائِك)، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: حَاكَ الثَّوْبَ يَحُوكُهُ حَوْكًا وَحِيَاكَةً نَسَجَهُ، فَهُوَ حَائِكٌ، وَقَوْمٌ حَاكَةٌ وَحَوَكَةٌ أَيْضًا.

(٢) الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (٢/ ٣٨٥).

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٢٢٤).

(٤) ميزان الاعتدال (١/ ١٦٤).

(٥) الفوائد المجموعة (ص: ٢٧٦).

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ٧٣).

(٧) السلسلة الضعيفة (٣٤١١)، وضعيف الجامع (٢٤٢٣).

أخرجه أحمد[١]، وأبو داود[٢]، وابن ماجه[٣]، والترمذي[٤]، والنسائي[٥]، وابن خزيمة[٦].

وقال النسائي: هَذَا الْحَرْفُ: (فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ) لَا نَعْلَمُ أَنْ أَحَدًا ذَكَرَهُ غَيْرُ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَلَا أَحْسِبُهُ بِمَحْفُوظٍ.

قال شعيب الأرنؤوط: إسنادُه ضعيف ... وقد اختلف في وقفه ورفعه[٧].

وقال الألباني: ضعيف[٨]. لكنه نوَّه إلى أن الحديث قد صحَّ من فعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أنس رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ)[٩].

(١) المسند (١٦٢٢٥).
(٢) السنن (٢٣٥٥).
(٣) السنن (١٦٩٩).
(٤) السنن (٦٩٤).
(٥) السنن الكبرى (٣٣٠٦).
(٦) صحيح ابن خزيمة (٢٠٦٦).
(٧) تحقيق مسند أحمد، ط الرسالة (٢٦/ ١٦٣ - هامش "٢").
(٨) السلسلة الضعيفة (٦٣٨٣)، وضعيف الجامع (٣٨٩).
(٩) أخرجه أحمد (١٢٦٧٦) وصححه الأرنؤوط والألباني.

الفهرس

مُقَدِّمَة ٣

كلمةٌ في التبرُّك - د. عبد العزيز آل عبد اللطيف ٥

كي نكون مُبارَكين - مُحَمَّد بن عبد الله المَقْدِي ٩

البَرَكَةُ في حياة المسلم - د.عطية عدلان ٤٠

البَرَكَةُ في حياة الداعية- ابنُ تَيْمِيَّة نموذجًا - محمد جمعة ٥٠

التبَرُّكُ المنحرِف- بواعثه ومظاهره - أكرم بن مبارك عصبان ٥٦

مُستندات الفِرَقِ في التبَرُّك الممنوع والجواب عنها عقلًا ونقلًا - محمد فريد..... ٧١

التبَرُّكُ في ميزان الشريعة - تحقيقٌ صحافيٌّ مع علماء الشريعة ٨٢

شجرة الغريب - قصة عادل مناع ١٠١

أحاديث ضعيفة في التبَرُّك - مصطفى محمود..... ١٥٥

الفهرس..... ١٧٩